محفوظ قداش



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية

الجزء الأول

1919 - 1939

ترجمة أمحمد بن البار





محفوظ قداش

تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية

الجزء الأول

1919 - 1939

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الخمسين
لاندلاع الثورة التحريرية المباركة





دار الأمة

تمت الترجمة بالمعهد العربي العالي للترجمة

ترجمة : امحمد بن البار

العنوان الأصلي :

HISTOIRE DU NATIONALISME ALGÉRIEN

Tome I

1919 - 1939

par: Mahfoud KADDACHE

للطباعة والنشر والتوزيع
ص ب 109 برج الكيفان 16120 الجزائر
E-Mail: Oummabooks@gmail.com

إيداع قانوني: 2008 / 3510

ردمك: 978-9961-67-262-4

السياسي، أكثر ميلا إلى المطلب الوطني منه إلى الشعارات المتعلقة بالسياسة الفرنسية أوالدولية.

لقد جعل العمال المهاجرون، بعددهم ورباطة جأشهم وتضامنهم، قادة الشغيلة الفرنسية يدركون حقيقة القضية الوطنية الجزائرية. فنجحوا في إيجاد نوع من التفهم الحقيقي والدعم الفعال عند بعض الفرنسيين اليساريين. وفي مدرستهم، تعلم العمال المهاجرون مبادئ ومناهج التنظيم، وقد تولد عن هذا الاتصال أول حزب سياسي وطني جزائري، نجم شمال أفريقيا.

II- نجم شمال أفريقيا، أول حزب وطني

1. النضج:

في 1924، وصل خالد إلى فرنسا؛ لقد استقبل من قبل مختلف مجموعات الجزائريين الذين حاولوا في المدن ولاسيما في باريس تنظيم أنفسهم من أجل الدفاع والتعاون فيما بينهم. واتصل بالشخص الذي كان يستضيف مصالي الحاج، وعبد القادر بن الحاج علي، وعبد العزيز منور والمحامي المغربي الأستاذ علي[31]. واتصل كذلك بالشيوعيين الذين أطلقوا الاتحاد العالمي وشارك في كل الاجتماعات التي تطرقت لقضية الجزائر ومصير الجزائريين.

لقد طلب منه الحديث عن وضعية مسلمي الجزائر ونظم أول اجتماع في 12 جويلية 1924 في قاعة المهندسين المدنيين في شارع «بلانش» برئاسة الأستاذ بهلول وألقى خالد محاضرة موفقة وأثار حماس المشاركين ثم أخذ الكلمة بعده النائب الشيوعي «أندري برتون» ثم المناضل الشيوعي حاج عبد القادر. ونظرا لنجاح التظاهرة، تم تنظيم ندوة ثانية في 19 جويلية 1924 في قاعة أكبر بالدائرة الثالثة عشرة وقد ترأس الاجتماع الشيوعي الملغاشي «ستيفاني»، وكانت الرئاسة الشرفية للشيوعي الجزائري بن لكحل والسوداني شيخو،

وهما سجـ ان سياسيان من كتلة اليساريين[32]. وتحدثت جريدة «لومانيتي»[33] عن «أروع محاكمة تاريخية للاستعمار».

يمكن تلخيص تحليل الوضعية الجزائرية الذي قدمه خالد باختيار العبارات الأكثر دلالة: «إن رؤساء البلديات ذات الممارسة الكاملة يطبقون نظام الأهالي على رعاياهم من غير الناخبين، أما السكان المختلطون فيخضعون للقوانين الاستثنائية والرقابة الإدارية، وهونظام يترجمه الأهالي بعبارة «السيف» (répressif)، ويتم التصرف في المناطق العسكرية «وكأنها بلد استعمر حديثا». ووجد أهالي الشمال أنفسهم، بعد طردهم من أراضيهم، محصورين بين أراضي المعمرين وغابات الدولة... فأينما ذهبوا كانت المحاضر تتهاطل عليهم. وتثبت أرقام رسمية بصفة لا مجا! فيها لشك أن التعليم بعد 94 سنة من الاحتلال، يكاد ينعدم، بـ إنه غير موجود في عدة مراكز من الجزائر... وقد طبقت علينا ضريبة الدم، حيث انتهكت أبسط المبادئ الأساسية للعدالة... لم نكن أبدا نعتقد أن ضريبة من هذا القبيل، كانت مخصصة فقط للمواطنين الفرنسيين المتمتعين بجميع الحقوق المدنية، ستأتي يوم تنهك فيه عاتقنا[34]».

وأعلن الأمير انضمامه إلى اتحاد ما بين المستعمرات وختم مداخلته: «ادخلوا في الطريق النشيط للمطالب! لا تشكلوا منظمات ذاتية تعتمد على العرق، لكن ادخلوا مع إخواننا الفرنسيين في النقابات والأحزاب التي تدافع عن قضيتكم[35]» وذهبت «لومانتي» إلى حد أعلنت فيه انخراط خالد رسميا في الحزب[36].

نجح خالد في التعريف بالوضع الاستعماري للأهالي الجزائريين. فانهالت عليه الصحافة من جديد في الجزائر؛ ورد الأمير على ذلك مؤكدا أنه الناطق الرسمي للمسلمين: «إن البحث عن معارضتي بصفتي الوكيل الرسمي للأهالي الجزائريين، كمحاولة الإمساك بأشعة الشمس بواسطة غربال[37]». وفي باريس، أدرك اتحاد ما بين المستعمرات؛ المطلب الوطني لعمال المستعمرات ففي

تجمع 17 أكتوبر 1924، طالب «بالنسبة للمستعمرات القديمة، بنظام الاستقلالية، وذلك بإلغاء الديكتاتورية الفاشية للحكام، وللمستعمرات الجديدة، بإلغاء قانون الأهالي، وبحق الشعوب في تسيير شؤونها بنفسها، وباستقلال المستعمرات التي لها، ماض تاريخي ووعي وطني مثل الهند الصينية»(38). لكن كان الجزائريون المهاجرون، أكثر من رجال اليسار الفرنسي، وهم الذين أدركوا حقيقة وضعهم، بل أحسن من ذلك، فقد عرف العمال كيف يعطون محتوى سياسيا لاستيائهم، وبدأ الحديث عن حزب سياسي ذي خاصية مغاربية.

2. تأسيس نجم شمال أفريقيا:

لا تتفق الشهادات حول تاريخ إنشاء نجم شمال أفريقيا، ولا حول فريق مؤسسيه. هل أنشئ الحزب من قبل الجزائريين؟ ومن هم؟ أم الحزب الشيوعي هوصاحب المبادرة؟ في 1924 أم في 1926؟ لحل هذا الإشكال، بحوزتنا شهادات مناضلين، وتقارير الشرطة، دون الحديث عن الأعمال التي أجريت حول نجم شمال أفريقيا، كون هذه الدراسات قد اعتمدت نوعا ما عن المصدرين الأولين.

لقد تشكل وبمحض الصدفة، بين أحضان الهجرة الجزائرية لما بعد الحرب، مجموعات من الجزائريين، كانت تشتغل مثل الجمعيات الصغيرة ذات الطابع الخيري (التعاون والدعم المعنوي). كان مصير العمال، وأخبار البلد والعالم العربي، ومستقبل الوطن وحقوق مسلمي الجزائر تشكل أساس جدول عمل الاجتماعات المنعقدة في النوادي والمقاهي. وقد تطرقت شهادات عديدة إلى شركة أعمال خيرية، حيث كان يناقش فيها غالبا مشروع عمل سياسي محض. فيكون نجم شمال أفريقيا قد تأسس على أنقاض جمعية دينية، جمعية الأخوة الإسلامية(39).

تجمع 17 أكتوبر 1924، طالب «بالنسبة للمستعمرات القديمة، بنظام الاستقلالية، وذلك بإلغاء الديكتاتورية الفاشية للحكام، وللمستعمرات الجديدة، بإلغاء قانون الأهالي، وبحق الشعوب في تسيير شؤونها بنفسها، وباستقلال المستعمرات التي لها، ماض تاريخي ووعي وطني مثل الهند الصينية»[38]. لكن كان الجزائريون المهاجرون، أكثر من رجال اليسار الفرنسي، وهم الذين أدركوا حقيقة وضعهم، بل أحسن من ذلك، فقد عرف العمال كيف يعطون محتوى سياسيا لاستيائهم، وبدأ الحديث عن حزب سياسي ذي خاصية مغاربية.

2. تأسيس نجم شمال أفريقيا:

لا تتفق الشهادات حول تاريخ إنشاء نجم شمال أفريقيا، ولا حول فريق مؤسسيه. هل أنشئ الحزب من قبل الجزائريين؟ ومن هم؟ أم الحزب الشيوعي هوصاحب المبادرة؟ في 1924 أم في 1926؟ لحل هذا الإشكال، بحوزتنا شهادات مناضلين، وتقارير الشرطة، دون الحديث عن الأعمال التي أجريت حول نجم شمال أفريقيا، كون هذه الدراسات قد اعتمدت نوعا ما عن المصدرين الأولين.

لقد تشكل وبمحض الصدفة، بين أحضان الهجرة الجزائرية لما بعد الحرب، مجموعات من الجزائريين، كانت تشتغل مثل الجمعيات الصغيرة ذات الطابع الخيري (التعاون والدعم المعنوي). كان مصير العمال، وأخبار البلد والعالم العربي، ومستقبل الوطن وحقوق مسلمي الجزائر تشكل أساس جدول عمل الاجتماعات المنعقدة في النوادي والمقاهي. وقد تطرقت شهادات عديدة إلى شركة أعمال خيرية، حيث كان يناقش فيها غالبا مشروع عمل سياسي محض. فيكون نجم شمال أفريقيا قد تأسس على أنقاض جمعية دينية، جمعية الأخوة الإسلامية[39].

ليس من المستبعد أن يكون للأمير خالد اتصال مع واحدة من تلك المجموعات، بل حتى مع تلك الجمعية الدينية[40] وأن تكون المجموعة، بفضل شخصيته قد أصبحت ذات أهمية أكبر؛ وهوما يفسر أطروحة تأسيس نجم شمال أفريقيا من قبل الأمير خالد... هناك شهادتان تؤيدان هذه الأطروحة، شهادة بلغول[41] وشهادة خيذر عمار[42]! فحسب بلغول، أنشأ خالد جمعية غير مصرح بها كانت تعمل بصفة رائعة منذ نهاية 1924؛ بعد المحاضرات التي ألقاها في باريس[43]، وقد أطلق عليها اسم نجم شمال أفريقيا بها قيادة سميت اللجنة المركزية مكونة من عشرة أعضاء، وعهد بالرئاسة إلى جفال سي محمد[44]، حيث بقى بلغول مكلفا بالاتصال مع الأمير خالد. وكان مصالي من بين أعضاء المكتب التنفيذي للحزب الجديد. بقي جفال يدير الحزب إلى غاية 1926، تاريخ سقوطه مريضا. ولما رغب مصالي عن الرئاسة، انتخب حينها بلغول وأصبح هكذا ثاني رئيس لنجم شمال أفريقيا. لكن تم إلقاء القبض عليه بحمام بوحجر في أوت 1926. وتم حينها تعويضه عمليا بمصالي الذي أصبح، منذ ذلك التاريخ، يقود نجم شمال أفريقيا. عاد بلغول إلى باريس في ديسمبر 1926، ولم ينافس مصالي على المنصب، وكان الأمير خالد موافقا على هذا التغيير[45]، بحكم كونه الرئيس الشرفي لنجم شمال أفريقيا[46]. ويستخلص من هذه الشهادة، من جهة ثقل الشخصية المعنوية لخالد في الانتقال بجزائريين في باريس من مجموعة أفراد إلى حزب سياسي، ومن جهة أخرى إعادة تنظيم هذا الحزب في 1926 في فترة الغياب اللاإرادي لبلغول. توافق شهادة خيذر في الخطوط العريضة شهادة بلغول.

عند نزوله في مرسيليا، سأل خيذر أحد المكلفين بالدعاية عن أصل نجم شمال أفريقيا، فأخبره أن مؤسسه كان الأمير خالد[48]. وفي «آرجانتوي»، حصل من سي جيلاني، أحد مسؤولي المنظمة، على الجواب التالي: «بالفعل، جاء الأمير خالد للاستقرار في «بان»، ومنذ أن علمنا بالخبر، قررنا الاتصال به؛

كنا في تلك الفترة فوجا صغيرا من الجزائريين المهتمين بالسياسة؛ فأنا نفسي كنت مناضلا في نقابة الاتحادية العامة للعمل الوحدوي. وفعلا أخبرنا عن مشروعه الخاص بنجم شمال أفريقيا. لكم قبل بعث هذه المنظمة في باريس، فضل التأكد من دعم شخصيات فرنسية. وهكذا ذهبنا عدة مرات في وفد معه إلى عدة رجال سياسيين، معتمدين دائما على دعم السيد فيوليت، الحاكم السابق للجزائر، ودعم صديقه في الدراسة، وهوالوحيد، على كل حال، الذي اعترف بصحة دفتر مطالبنا. أما بالنسب للآخرين، فكنا في كل مرة نجد الأبواب موصدة».

لقد جعل صمت الحكومة، حول مخطط الإصلاحات الخاص بالشعب الجزائري، الأمير أكثر تصلبا من ذي قبل، ولم يثبط من عزيمته قط. «وخشية ميلاد حركة وطنية في باريس، اتخذت الحكومة الفرنسية قرار نفي الأمير خالد إلى سورية. وبعد رحيله، قرر فوجنا الصغير مواصلة الكفاح، لكن بإنشاء منظمة، كانت تمثل لنا الوسيلة الوحيدة للاتصال بالشعب عندنا، لنشرح له الفكرة الوطنية»[49].

تبرز شهادة خيذر نية خالد في تأسيس حركة وطنية، هذا فضلا على السلطة المعنوية التي كان يتمع بها لدى فوج شمال أفريقيا الذي كان ينتمي إليه سي جيلاني.

نستطيع أن نستخلص من هاتين الشهادتين أن خالد كان فعلا ينوي أن يحول إلى حزب فوج العمال الذي كان ينشطه، بطريقة متداخلة تكاد تكون سرية، رجالا مثل حاج علي عبد القادر ومصالي وسي جيلاني وبلغول... ولم يتم تأسيس نجم شمال أفريقيا إلا في ربيع 1926. ويضيف بنون آكلي [50] إلى هذا الموضوع شهادة مهمة؛ لأنه كان حاضرا في الاجتماعات الأولى لنجم شمال أفريقيا: «كان ذلك في 16 ماي. وخلال ذلك الاجتماع رأى نجم شمال النور. وهذا هوالاسم الذي أعطي له. لم أكن أعرف من الحاضرين إلا سي

جيلاني الذي سمعته يلقي خطابا، خلال اجتماع ثقافي سابق». كان مقر نجم شمال أفريقيا في رقم 49 بشارع بروطانيا. وتم تأسيسه بمبادرة من عبد القادر حاج علي من غليزان (شيوعي). وعقد أول اجتماع في باريس بتاريخ 12 جوان 1926، في 163 نهج المستشفى (الدائرة 13).

«وفي 2 جويلية 1926 عقدت جمعية عامة للمناضلين في قاعة «غرانج أوبال». وتم في هذا الاجتماع اختيار وانتخاب لجنة مركزية مكونة من عشرة أعضاء...».[51]

تخبرنا رسالة بتاريخ 7 سبتمبر 1927[52]، إنها رسالة شبيلية، كان في تلك الفترة أمينا لنجم شمال أفريقيا، إلى مراسل مغربي، أن نجم شمال أفريقيا قد أسس حقيقة في 1926، وأنه يضع أهدافه في إطار القومية والدين.

وحسب شهادة أخرى، فإن حاج علي عبد القادر هومن كان صاحب مبادرة تأسيس نجم شمال أفريقيا، حيث كان يخبر مصالي عن الصعوبات التي كان يلقاها داخل الحزب الشيوعي الفرنسي كلما طرح القضية الوطنية الجزائرية. ويكون قد دعا حتى مصالي للانخراط في الحزب الشيوعي حتى يستطيعان كلاهما طرح القضية الجزائرية بطريقة صحيحة. لكن التيار الشعبي في أوساط عمال شمال أفريقيا كان يحبذ إنشاء منظمة من المغاربة وتكون القيادة منهم. وعقدت اجتماعات تمهيدية بين عمال جزائريين يرغبون في بعث جمعية من أجل توحيد كل الطاقات وتنسيق عمل القادمين من شمال أفريقيا في باريس. وقد بدأت النقاشات في أكتوبر 1925 وخلصت في ديسمبر من السنة نفسها إلى إنشاء نجم شمال أفريقيا. وعقد الاجتماع العام الأول من 23 إلى 26 جوان 1926 بدار النقابات، 8 شارع «ماتوران مورو» في باريس. وتم اغتنام فرصة ذلك الاجتماع للإعلان على الملأ عن تأسيس الحزب.

يمكن أن نستخلص، حسب هذه الشهادات، أن نجم شمال أفريقيا قد أنشئ في ربيع 1926[54]. وقد ظهر منذ بداية نشاطه كمنظمة وطنية وإسلامية.

ولعب الحزب الشيوعي الفرنسي دورا في تطور النجم لكنه لم ينشئه[55]. ولما عجز الحزب الشيوعي الفرنسي عن تأطير عمال شمال أفريقيا، حاول كسب دعمهم بواسطة (الاتحادية العامة للعمل الوحدوي) (CGTU) وعن طريق قادة شعبيين مثل خالد، وبالنشاط فوق الأرضية الوطنية. وهكذا وضع الحزب الشيوعي الفرنسي عدة وسائل مادية تحت تصرف النجم: مقرات، طبع المناشير وجريدة الإقدام، توفير العمل للمناضلين، الخ. كان أكثر القادة الأوائل للنجم شيوعيين، ولكنّ الشركاء الوطنيين هم الذين أحسنوا تمثيل التطلعات الوطنية الإسلامية للعمال المهاجرين، وهو ما يفسر تمكن مصالي والعناصر الوطنية من أن يصبحوا، بعد وقت قصير، القادة الوحيدين لنجم شمال أفريقيا.

لِنُعِد في هذا الشأن شهادة بنون وخيذر. فقد كتب الأول: «في نوفمبر 1927، عقدت ثاني جمعية عامة في 11 شارع «لي غراسيوز». أثناء النقاشات، اتضحت التوجهات الوطنية بصفة صريحة. فبعد أن تم تبني عريضة تطالب باستقلال الجزائر بأغلبية كبيرة، قامت كل العناصر، مثل عبد القادر حاج علي، الذين كانوا ينوون استعمال الجزائريين كقوة مناورة لصالح الحزب الشيوعي الفرنسي بالاحتجاج ثم غادروا القاعة. تبعهم بعدها فرنسيون متعاطفون مع نجم شمال أفريقيا[56] ومنذ تلك اللحظة بدأ الشيوعيون ينصرفون عن نجم شمال أفريقيا. وفي 1928، غادر حاج علي نجم شمال أفريقيا». أما خيذر فقد نقل شهادة سي جيلاني: «كان أكثر ما نخشاه قمع السلطات الفرنسية قبل أن تغرس المنظمة بين الجماهير. فقررنا البحث عن غطاء للحماية، وهوما حملنا على أن نطلب من الحزب الشيوعي الفرنسي إن كان بوسعه أن يوفر لنا الحماية».

«فأراد الحزب، مع قبوله التام للفكرة، أن تصبح المنظمة فرعا للحزب. ولم يكن في وسعنا غير الموافقة. وهكذا طرح علينا الحزب الشيوعي شرطا: أن

تكون أمانة المنظمة بين يديه. وعليه عين «جاك دوريو» أمينا عاما لنجم شمال أفريقيا. وبمجرد بدء المنظمة عملها، أنشأنا جريدة «الأمة»[57].

حتى وان كانت في مختلف هذه الشهادات بعض التناقضات، يمكن التأكيد على أن فكرة إنشاء حزب سياسي مغاربي وطني، إسلامي، قد تولدت بين 1924 و1926 داخل فوج من العمال الجزائريين، من بينهم رجال مثل بلغول وحاج علي عبد القادر ومصالي وجفال وسي جيلاني [...] الذين أدوا دورا مهما. وقد لعبت السلطة المعنوية لسمعة خالد، التي كانت في تلك الفترة تمثل الوطنية الجزائرية، دورا كبيرا في مرحلة إنضاج المشروع، وحتى في تجسيده؛ فقد احتفظ باسمه أول المناضلين في نجم شمال أفريقيا. لقد كان الحزب من صنيع الجزائريين؛ وقد اعتمد في بدايته على دعم الحزب الشيوعي الفرنسي، لكن هذا الأخير توقف عن دعمه منذ أن أكد الحزب الجديد بكل استقلالية عن توجهه الوطني والإسلامي.

3. القادة، مصالي، الرواد:

يعطينا بنون بدقة تشكيلة اللجنة المركزية:

وظيفة	الاسم	المهنة	المنطقة	الانتماء السياسي
الرئيس	عبد القادر حاج علي	تاجر	غليزان	شيوعي
الأمين العام	الحاج مصالي	تاجر متنقل	تلمسان	
أمين المال	جيلالي شبيلة	عامل	البليدة	شيوعي
عضو	محمد السعيد سي الجيلاني	عامل مهني	الأربعاء ناثيراثن	
عضو	أكلي بنون	عامل وتاجر خضر	سيدي عيش	
عضو	محمد معروف	نقابي	الأصنام	شيوعي
عضو	قدور فار	معطوب	الأغواط	
عضو	سعدون	عامل مهني	بني عباس	

	مقرورش	بطال	بن عباس	
عضو	عبدالرحمان سبتي	معلم مدرسة	العلمة أو الخروب	
عضو	أينتودرت	معطوب	عين الحمام	شيوعي
عضو	محمدإيفور	معطوب	الأربعاء اثيراثن	
عضو	صالح غاندي	عامل مهني	بوسعادة	
عضو	رزقي	عامل مهني	خنشلة	
عضو	بوطويل	عامل مهني	جيجل	شيوعي

كانت اللجنة المركزية تتكون، كما يشير إليه الجدول السابق، من أعضاء من كل مناطق الجزائر. وكانت المناطق التي قدم منها أكبر عدد من المهاجرين هي الأكثر تمثيلا. لكن المشكلة لا تطرح بهذا الشكل، فالتضامن الحقيقي الموجود بين المهاجرين جعلهم يضعون ثقتهم في الإخوة المتعلمين والنشطين.

اشتغل نجم شمال أفريقيا في البداية كجمعية غير مصرح بها، مكونة من مناضلين جزائريين، ومفتوحة للعمال المغاربة من البلدان الثلاثة. كانت الجمعية تصرح في البداية أن هدفها الدفاع «عن المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية لمسلمي شمال أفريقيا» وأن لها علاقة مع الرابطة ضد الاضطهاد الاستعماري والإمبريالية، ومنظمة التجمع المناهض للاستعمار، ومنظمة الإغاثة الحمراء الدولية والحزب الشيوعي[60]. لقد ظهر نجم شمال أفريقيا، منذ تأسيسه، كحركة ثورية ذات هيكلة صلبة وقوية، وليس كجمعية تعاون يقودها الأعيان. وكان تجانس هياكله وشخصيات قادته الأوائل، ودعم جماهير المهاجرين، الذين كانوا يعيشون مقطوعين يائسين، لا شيء وراءهم يفقدونه وكل شيء أمامهم ليربحوه، سببا في قوة نجم شمال أفريقيا. كان يوجد وراء واجهة الجمعية، هيكل حزب سياسي. وكانت الجمعية العامة للمناضلين تمثل منبع تنظير وعمل سلطة الحزب. في الأصل، كانت الجمعية

تشمل كل المناضلين، لكن مع انتشار النجم، أصبح مندوبو الفروع فقط يحضرون الجمعية. وتم الانتقال تدريجيا من الجمعية العامة التقليدية إلى مؤتمر سياسي، من مجلس إدارة، إلى لجنة مديرة يطلق عليها غالبا مصطلح: لجنة تنفيذية أو لجنة مركزية.

كان المكتب، أي ثلاثة أو أربعة مسؤولين يمسكون بالرئاسة والمالية والأمانة العامة، هو الذي يتكفل بإدارة الحركة. وكانوا يجتمعون تارة في المقر وتارة في مقهى وتارة أخرى في منزل أحدهم، وسيبرز على رأس الحزب قادة من أوساط شغيلة، يمارسون مهنا تقتصر على المهاجرين الجزائريين (عمال يدويون، باعة متجولون، تجار صغار، ذوو أسماء عاتمة، لا صلة لهم بالعائلات الكبرى ولا بالوجهاء ولا بحركة الشبان الجزائريين). فبتكوينهم الابتدائي سيكتسبون في مدرسة الحياة وبالاتصال بمنظمات اليسار الفرنسي خاصة الحزب الشيوعي الاتحادية العامة للعمل الوحدوي، وبالجماعات العبثية، تكوينا نظريا قويا، على الأقل معنى التنظيم والكفاح السياسي. وقد برزت بعض الأسماء منذ السنوات الأولى مثل مصالي الحاج وسي جيلاني وعيمش عمار.

- **مصالي:**

منذ انتخابه في منصب الأمين العام، ثم منصب رئيس نجم شمال أفريقيا ابتداء من 1926، كرس مصالي الحاج نفسه كلية للحركة الوطنية. ولد مصالي في 16 ماي 1898 بتلمسان في عائلة بسيطة. درس بالمدرسة القرآنية لزاوية درقاوة، بالمدرسة الفرنسية حيث تحصل على شهادته لنهاية الدراسة. وقد حملته الخدمة العسكرية إلى بوردو، حيث انتهز الجزائري الشاب فرصة إقامته هناك لمتابعة الدروس في الجامعة كمستمع حر. ثم انتقل إلى شرق فرنسا، حيث تعرف على «إيميلي بوسكان»، ابنة عامل مهني، وزوجته المستقبلية ورفيقته الوفية. ثم عاد إلى الجزائر في 1921. كان في تلك الفترة عرضة لتأثيرين، تأثير الثورة الكمالية في تركيا وثورة خالد، جاءا لينضما إلى التأثيرات التي تشرب

منها في شبابه: الجو الديني العائلي، وجود قساوة وروح المتمرد التلمساني. وفي أول خطاب عمومي ألقاه، في مقهى تقليدي بتلمسان، أشاد بالثورة الكمالية وبالإسلام. كانت تلك مناسبة لأول مشاكله مع الشرطة التي استجوبته حول نشاطه. كان جد معجب بمقالات خالد، لا سيما بالخطاب الذي ألقاه عند قدومه إلى تلمسان. لقد ذهب إلى فرنسا، ربما بنية الذهاب إلى المشرق لكنه توقف بباريس، تحت جاذبية الإمكانات الفكرية والسياسية الضخمة التي كانت توفرها العاصمة الفرنسية. لقد عاش الحياة الصعبة للمهاجرين الجزائريين، الفقر والحرمان، والبطالة والعمل اليدوي الرخيص. وقد اشتغل في كل المهن: تفريغ ونقل البضائع في مؤسسة للنسيج، عامل مهني عند رونو، تاجر الفصول الأربعة، بائع متجول. لكنه أروى عطشه من العلم والثقافة، وارتاد أوساط الطلبة والدوائر الأدبية، وحضر العديد من المحاضرات في السور بون وفي اللغات الشرقية، محتفظا بمعارف كثيرة، متداخلة في غالب الأحيان، مستوعبا لكل ما قد يساعده، من بعيد أومن قريب، في تكوين تصور واضح ودقيق للمستقبل الجزائري. وقد سمح هذا التكوين العصامي لمصالي بإلقاء مداخلاته الأولى أمام جمهور من شمال أفريقيا في باريس، وإعطاء مقالاته العديدة صياغة فكرية، وصورة نظرية تستوعبها جماهير المهاجرين التي وجدت فيها معبرًا بوضوح وبصفة جيدة عمّا كانت تشعر به من إبهام وتداخل. وقد شارك في اجتماعات المقاهي، وفي السهرات التي كان المهاجرون يستذكرون خلالها «البلد» واهتماماتهم الخاصة. لقد تأثر مصالي بنجاحات الأمير خالد في باريس. وكان مناضلا نشيطا لصالح قضية الريف، حيث شرح لإخوانه في الدين معنى معركة عبد الكريم: استقلال المغرب الكبير، ولكن كذلك نهضة العالم الإسلامي. كانت الحرية السياسية، والاستقلال، والنهضة الإسلامية، كلها مواضيع تفرض نفسها على فكر مصالي؛ فقد منحه التردد على الأوساط السياسية العمالية معنى التنظيم وجعله يدرك ضرورتها كوسيلة كفاح. وتابع

دروس مدرسة الإطارات في «بوبيني» لكنه انصرف، بعد بضعة أشهر، عن الشيوعيين، متهما إياهم بالرغبة في قيادة العمال الجزائريين واستعمالهم كقوة مناورة في قضايا فرنسية محضة، عوض الاحتفاظ بكفاحات المغاربة واستعمالها في المطالب المناهضة للاستعمار. كان مصالي يتميز بفصاحته، وحرارة مداخلاته، ووضوح عروضه، بالعربية كما بالفرنسية، وبشجاعته وبقوة شخصيته، لقد أظهر الدور الذي لعبه في الفوج الصغير من الجزائريين، فكان وراء تأسيس النجم، بحسن شمائله بصفته قائداً. وبعد أن خلف حاج علي عبد القادر رئيسا لنجم شمال أفريقيا، كان قد خط برنامجه: الاستقلال، النهضة الإسلامية، منظمة وطنية مستقلة، ذات خصوصية مغاربية، حليفة وليست خاضعة للحركات الثورية الفرنسية.

لقد تشابهت نشاطات النجم ونشاطات مصالي إلى حد أصبح مستحيلا تمييزهما أوالتفريق بينهما. لكن ما كان لمصالي أن يؤدي عمله في النجم لولم يكن يساعده في مهمته مناضلون ذووشأن، تغلبوا على ضعف تعليمهم وعدم خبرتهم، في عالم معاد أوعلى الأقل مختلف عن عالمهم، بقوة إيمان لا حدود لها، وبإرادة وشجاعة لا توجد إلا عند الثوار الكبار. نذكر منهم أولئك الذين استطعنا جمع بعض المعلومات عنهم.

سي جيلاني محمد السعيد، من الأربعاء بني إيراثن، هاجر إلى فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى، اشتغل صقال جلود ثم خياطا. كان ضمن الفوج الذي اتصل بخالد، وناضل في الاتحادية العامة للعمل الوحدوي. كان مكلفا بالربط بين العناصر التي أسست نجم شمال أفريقيا. كان تعليمه قرآنيا، لكنه تعلم في فرنسا القراءة والكتابة بالفرنسية. وبفضل مواهبه الخطابية أمام الجماهير، وخصاله الإنسانية انتخب عضوا في اللجنة المركزية، حيث كلف بالقيام بالجولات الدعائية الأولى للحزب في فرنسا. وكان غالبا ما يطرد من عمله بسبب أفكاره السياسية، لكنه عرف كيف يبقى وفيا لمثله ويعيش كريما(63).

حاج عبد القادر، من معسكر، ناضل في (الاتحادية العامة للعمل الوحدوي) (CGTU) وفي الحزب الشيوعي، حيث أصبح رئيس خلية[64]، ورشحه الحزب الشيوعي الفرنسي للانتخابات العامة في باريس[65].

شبيلة جيلالي، موظف في شركة مكلفة بصيانة المصاعد، كلف أولا بصندوق مال النجم الذي كان أمينه العام في 1927[66]. اقصي من الحزب في 1933 بسبب تعاطفه مع الشيوعيين[67].

بنون آكلي، عضومؤسس للحزب، أصبح أمين المال في 1935. شارك في مؤتمر جنيف في ديسمبر 1935، والقي عليه القبض عدة مرات في فرنسا. واعتقل في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية.

لاتتوفر لدينا إلا القليل من المعلومات عن المسؤولين الآخرين[68].

4. المناضلون:

كان التسجيل في النجم خاصة جزائريا وشعبيا. وكان عدد المنخرطين في 1927، 3000 منخرط. وكان نشاطه منتشرا خاصة في منطقة باريس[69]. كان المتعاطفون مع النجم أكثر من المنخرطين في 1929، حيث ضم نجم شمال أفريقيا 4000 عضو. وأُنشئت أقسام في ضواحي باريس وفي بعض المدن الفرنسية[70]. وتبين لنا الخريطة الموجودة في الملحق تمركز الأقسام الرئيسة[71].

أصبح النجم، بمثاله الأعلى ممثلا لشمال أفريقيا، ونجما للوحدة المغاربية، ولكن عمليا كان جزائريا لأن التونسيين والمغاربة كان عددهم أقل بكثير في فرنسا من الجزائريين. كما أنهم التحقوا، لاسيما بعد 1930، بمنظمتيهم «الدستور»[72] و«العمل المغاربي»[73] على التوالي.

وكان مناضلونجم شمال أفريقيا خاصة من العمال، وكانت جريدة الأمة، تدعوالمثقفين الذين كانوا يترددون في الانخراط في منظمة وطنية، ولكن دون جدوى. ويفسر موقف المثقفين هذا نوعا ما حذر المناضلين تجاههم. لقد أشير إليه، بل إنه كان محل استهجان، في بعض فترات تاريخ الحركة الوطنية. إن

هذا الانخراط في أوساط العمال المهاجرين يفسر صلابة وثبات وتماسك منظمة لم يكن لأعضائها أية حياة اجتماعية أوثقافية أوسياسية خارجها. فكان الحزب يمثل للمناضلين البلد، بل قضية الوطن.

5. برنامج نجم شمال أفريقيا:

مؤتمر بروكسل:

أقام نجم شمال أفريقيا مداومته في الدائرة الخامسة: 3 شارع «باترياش». وقد أصدر جريدة «الإقدام دوباري»، حيث أعاد استعمال عنوان الجريدة التي كان يديرها خالد. وكانت هذه الجريدة تصدر باللغتين العربية والفرنسية، لكن بمظهر وعنوان مختلفين، تفاديا للمنع والحجز.

كانت «الإقدام دوباري» تنشر المبادئ التي تم التأكيد عليها خلال الاجتماعات الأولى للنجم: استقلال شمال أفريقيا، إجلاء القوات الفرنسية منها وتشكيل حكومة ثورية. كانت الجريدة تطلق نداءات حقيقية للثورة، وهكذا تم منع الجريدة بسرعة من الصدور. وتوقفت الجريدة عن الصدور في فيفري 1927[74]. وخلفتها جريدة «الإقدام نورآفريكان»، لكن باللهجة الحادة نفسها. ولم تنجح في أن تضمن الخلف، وكان مصيرها مصير سابقتها نفسه. لم يبق للنجم إذا إلاّ العمل شبه السري: مناشير واجتماعات في أماكن العمل، وفي المقاهي والنوادي الخاصة بعمال شمال أفريقيا. كانت الأهداف المحددة خلال الاتصالات الأولى بين مختلف الأعضاء المؤسسين مستوحاة من البرنامج الذي حدده الأمير خالد[75]. وهكذا كانت القوانين التي تم تبنيها خلال الاجتماعات التأسيسية الأولى تقترح تدريب المسلمين على «أشياء فرنسا، وأن تطرح أمام الرأي العام كل مظالم سكان شمال أفريقيا» وتعيد طرح المطالب المعبر عنها من قبل الشبان الجزائريين.

لكن تم تجاوز هذا البرنامج في أقل من سنة. وجهر نجم شمال أفريقيا بتوجيهاته الوطنية.

كان عمل النجم يندرج في سياق مغاربي؛ فأثناء تأسيسه كانت مناشير توزع في تونس وتعيد طرح المبادئ المحددة خلال الاجتماعات الأولى لقادة النجم[76]. ومنعت الإدارة توزيع جريدة «الإقدام نورآفريكان» في تونس[77].

ودعا نجم شمال أفريقيا البلدان الثلاثة إلى جمع كل القوى الوطنية لمقاومة «إرادة الإمبريالية الفرنسية في توحيد شمال أفريقيا اقتصاديا وعسكريا»[78].

وقد أدت العمليات العسكرية الفرنسية في الأطلس المتوسط وتافيلالت بنجم شمال أفريقيا إلى نشر بيان: «من أجل استقلال شمال أفريقيا: يا شعوب شمال أفريقيا انهضوا وتصدوا لحرب المغرب[79].» وبعد أن طلب من التونسيين والجزائريين عدم قبول التجنيد في الجيش الإمبريالي، ومن المغاربة الالتحاق بالمقاتلين، ختمت «الإقدام» بهذا النداء:

«أيها الإخوة في شمال أفريقيا، لنقاوم جميعا الهجمة الإمبريالية، سواء كانت فرنسية أم إسبانية. لننظم أنفسنا، لنشكل جبهتنا الموحدة ضد الإمبريالية، لنقف كرجل واحد ضد حرب المغرب من أجل استقلال بلداننا! عاش استقلال المغرب! عاش شمال أفريقيا حرا.»

كان برنامج نجم شمال أفريقيا يحتوي على مطلب استقلال البلدان المغاربية الثلاثة، لكن الإقدام أشارت إلى أنه: «لن يكون استقلال واحد من هذه البلدان الثلاثة ممكنا إلا إذا كانت حركة تحرير هذا البلد يدعمها البلدان الآخران؛ فكل بلد معني بتحرير البلدين الآخرين؛ وواجب الجميع هودعم حركة التحرير الشامل لكل أمة من أمم شمال أفريقيا الثلاث.

«فبتنسيق جهودهم فقط، وعن طريق رابطة وثيقة، وعلاقات أخوية فعلية، سينتصر الكفاح من أجل استقلال شمال أفريقيا»[80].

نظرا للوضعيات والظروف الجغرافية والتاريخية والسياسية والدستورية الخاصة بكل واحد من البلدان الثلاثة، أعد نجم شمال أفريقيا ثلاثة برامج مطلبية بالترتيب. فحدد بالنسبة للجزائر المطالب الفورية: إعادة طرح الخطوط العريضة لبرنامج خالد، مع إضافة انتخاب برلمان جزائري عن طريق الاقتراع العام في مكان المندوبيات المالية، وبتحديد الأهداف المسطرة من أجل تحقيق الاستقلال:

«اعتبار أنه، منذ الحرب، لم يتم احترام أي من الوعود المعطاة لسكان شمال أفريقيا من قبل الحكومة، لذا فإن نجم شمال أفريقيا يدعوالشعب الجزائري إلى الكفاح من أجل المطالب الفورية التالية:

1- إلغاء قانون العار الخاص بالأهالي، والإجراءات الاستثنائية.

2- العفو عن كل المساجين، وعن الموضوعين تحت الرقابة الخاصة أوالمبعدين بسبب إخلالهم بقانون الأهالي أومخالفة سياسية.

3- حرية الصحافة والجمعيات والاجتماع.

4- حقوق سياسية ونقابية مساوية لحقوق الفرنسيين الموجودين في الجزائر.

5- تعويض المندوبيات المالية المنتخبة عن طريق الاقتراع المحدود ببرلمان جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام.

6- إلغاء البلديات المختلطة والمناطق العسكرية، وتعويض هذه التنظيمات بمجالس محلية منتخبة عن طريق الاقتراع العام.

7- قبول كل الأهالي الجزائريين في الوظائف العمومية دون تمييز في الأجور؛ فلكل وظيفة راتب يساويها، ولا تمييز بين الأهالي الجزائريين والفرنسيين.

8- الاستفادة من التعليم في جميع المستويات: إنشاء مدارس باللغة العربية، نشر كل العقود الرسمية باللغتين العربية والفرنسية معا.

9- المساواة في مدة الخدمة العسكرية للأهالي الجزائريين والفرنسيين مع وقف المعاملات الوحشية في الجيش، والإبقاء على الجنود الأهالي الجزائريين في الجزائر.

10- تطبيق القوانين الاجتماعية التي يستفيد منها العمال الفرنسيون.

11- توسيع القرض الفلاحي للفلاحين الصغار؛ تنظيم أكثر عقلانية للري؛ تطوير وسائل الاتصال؛ إغاثات مجانية من الحكومة لضحايا المجاعات الدورية.

12- وإن هذه المطالب لا يمكنها أن تلبى إلا إذا أدرك الجزائريون حقوقهم وقواهم ليتحدوا ويجتمعوا من أجل فرضها على الحكومة الفرنسية؛ فوحده التنظيم القوي والحازم للجزائريين يمكنه التغلب على تعنت الحكومة الفرنسية في حرمانها للشعب الجزائري الذي تضطهده وتحرمه من تحسينات ضرورية لمصيره.

وإن نجم شمال أفريقيا يعتبر أن الشعب الجزائري قادر على قيادة نفسه بنفسه؛ وعليه فإنه يتابع تحقيق الأهداف التالية:

1- استقلال الجزائر.

2- الانسحاب الكلي لقوات الاحتلال الفرنسية.

3- تشكيل جيش وطني جزائري.

4- إعادة ملكية البنوك والمناجم والأراضي...التي استولى عليها الغزاة إلى الدولة الجزائرية[81].

وفي نداء بتاريخ 22 أفريل 1927[82]، احتج نجم شمال أفريقيا على التضييقات التي أدخلت على قانون 4 فيفري 1919[83]، وذلك كخلاصة: وإن نجم شمال أفريقيا يخوض عملا نشيطا من أجل حق الجزائر، مثلما هو حق كل الشعوب الأخرى، في تقرير مصيرها بنفسها، وفقا لتصريحات الرئيس ويلسن والمبادئ التي باسمها حارب الشعبان الفرنسي والجزائري جنبا إلى جنب من

1914 إلى 1918». ولم يتردد أحد القادة في التأكيد قائلا: «إننا نريد أن تكون لنا السيادة المطلقة في بلدنا الذي أخذتموه منا بالقوة، ويجب أن يبقى الجنود المسلمون جنودنا وليس جنودكم[84]».

حاول نجم شمال أفريقيا إقامة علاقات مع منظمات تتابع في الخارج أهدافا مشابهة لأهدافه. وقد شدت اللجنة السورية الفلسطينية بقيادة شكيب أرسلان، انتباهه بصفة خاصة. وكانت الإدارة قلقة خاصة من الدعم الذي يمكن للنجم تلقيه من الكومنترن السوفييتي، أومن ضباط الدعاية الألمان في أرض الإسلام، أومن جمعيات كلجنة الدفاع للمغرب العربي، أومن الجمعية الألمانية الإسلامية، ومن الاتحاد من أجل تحرير الإسلام[85]. وكانت أول مشاركة لنجم شمال أفريقيا في تظاهرة دولية بمناسبة المؤتمر المناهض للاستعمار المنعقد ببر وكسل (10 إلى 14 فيفري 1927).

لقد نظم هذا المؤتمر الرابطة ضد الاضطهاد الاستعماري، وقد شاركت فيه شخصيات مثل «هنري باربوس» و«فيليسيان شالي» والشيوعي الإنجليزي «لانسبوري» ورئيس الأممية للنقل «بيمن». ومن جانب الشعوب المستعمرة، يمكن ذكر أسماء أصبحت مشهورة، نهروولمين وسنغور ومحمد حطى. ويمكن القول أن هذا المؤتمر كان مؤتمر «الشعوب المضطهدة، المسعفة من قبل منظمات دولية عمالية كبيرة».

كتب الشاذلي خير الله[86] في الإقدام[87]، بأن المندوبين قد قرأوا وأقروا الاتهام ضد القوى الإمبريالية لأوربا وضد الرأسمالية الأوربية التي كانت تستغلهم، وسطروا فيه برنامج العمل المشترك للشعوب الضعيفة التي ستصبح، وهذا قدرها حسب «باربوس»، «الشعب القدير». وقد أشاروا إلى الإفلاس المعنوي لعصبة الأمم وإلى حاجة الشعوب المضطهدة إلى تنظيم نفسها دوليا.

ومن جهتهم، تعهد ممثلوالثمانية ملايين نقابي أن يساعدوا بكل الوسائل الشعوب المستعمرة في كفاحها التحرري مع يقينها بأن «الكفاح من أجل

الاستقلال الوطني هو، أولا، حلقة في العمل المباشر من أجل انعتاق الطبقات العمالية والفلاحية».

قام مصالي، باسم نجم شمال أفريقيا، بقراءة تصريح استنكر فيه السياسة الاستعمارية الفرنسية: «لقد حكم علينا بالأشغال الشاقة في بلدنا، لأنه ليس لنا حرية في الجمعيات، ولا حرية صحافة ولا حرية اجتماع، بلا قوانين اجتماعية ولا مدرسة». وذكر بمجاعة 1922 و1923. وانتقد المعارضة الفرنسية لحق الشعوب التي تتطلع إلى استرجاع سيادتها: «لا يمكن منح الاستقلال للشعب الجزائري، لأن هذا الشعب، حسب تعبير فيوليت، ما زال يحمل أفكار القرن الحادي عشر[88]».

وذكر «بيان» نجم شمال أفريقيا بطريقة أكثر منهجية بالسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر[89]. فطلب مصالي من المؤتمر تبني المطالب المسجلة في برنامجه. وقد منحت اللجنة التنفيذية، المنبثقة عن مؤتمر الرابطة المناهضة للإمبريالية والاضطهاد الاستعماري[90]، السلطات الكاملة من أجل تقديم كل المساعدات الضرورية للتجمعات التي تعمل من أجل الاستقلال الوطني لبلدانها.

كان وطنيو النجم راضين عن النتائج المحرزة في بروكسل[91]: لقاء مع مناضلي الطليعة في أوربا وأمريكا. وأعرب عن تشابه «وجهات نظر البلدان المستعمرة حول هدفهم الذي يتمثل في الاستقلال» إرادة النجم الصريحة والأكيدة في المضي قدما من أجل الحصول على استقلال المغرب الكبير، دعم المؤتمر لبرنامج النجم. كانت أولوية القضية الوطنية الفكرة الأساسية التي خرج بها هذا المؤتمر: «منح في إطار الاستقلال الوطني المستعاد والمحفوظ، كل شعوب العالم الضمانات من أجل التطور الحر الذي تطالب به.»

لقد عرف نجم شمال أفريقيا بنفسه على الصعيد الدولي، وأكد على وصفه كمنظمة مناهضة للإمبريالية، تختلف عن سابقتها وتطالب باستقلال البلدان المغاربية الثلاثة[92].

قلقت الأوساط الفرنسية الداعمة للسياسة الاستعمارية من تطور وجرأة هذا الحزب الجديد. ولم يطرح الوطنيون مطلب الاستقلال على الصعيد النظري فحسب، بل إن إستراتيجية العمل التي طرحوها أصبحت تهدد القوة الاستعمارية: معارضة حرب المغرب، تحريض العسكريين على الفرار... أدت حدة مناشير[93] النجم بالأمين الجهوي للحزب الشيوعي لمقاطعة الجزائر إلى إظهار أن نجم شمال أفريقيا كان منظمة وطنية وأنه إذا كان الحزب الشيوعي يتابع بتعاطف كل مجهودات الشعوب المضطهدة من أجل تحررها، فلم يكن له ما يربطه بالمنظمات الوطنية لتلك الشعوب.

قدمت جريدة « أفريقيا الفرنسية»[94] المنظمة الجديدة لتجمع ثوري يتلقى تعليماته مباشرة من الحزب الشيوعي الفرنسي وكانت الصحافة الأوربية هي التي تعمل على تعميم التداخل بين الوطنية والشيوعية. وكانت هذه الأطروحة تدعمها غالبا تقارير الشرطة؛ لأنه كان يتم إعادة طبع مناشير النجم ومقارنتها بمناشير الحزب الشيوعي الفرنسي.

6. الأهمية التاريخية للحزب الجديد:

يعد تأسيس نجم شمال أفريقيا عملا جوهريا في التاريخ السياسي للجزائر الحديثة. وقد تم طرح القضية الوطنية الجزائرية سياسيا من قبل منظمة مناضلين جزائريين... لقد تم بالتأكيد، إثارة القضية حتى قبل 1924، لأن قضية استقلال الجزائر قد تمت مناقشتها، خلال الحرب، في ندوة القوميات في لوزان عام 1916، حيث مثل الجزائر التونسي باش حاميا. وتم الاتفاق على أن «القوميات، سواء كانت مؤسسة على مجموعة عرقية أولغة أوتقليد، أم كانت منبثقة عن تآلف حر وبالتراضي بين مجموعات عرقية مختلفة، لها الحق في حرية تقرير مصيرها بنفسها[95]». فبالنسبة للجزائر وتونس، طالب ممثل هذين البلدين بميثاق[96]. وتمت المطالبة مرة أخرى بهذا الميثاق في 1917[97]. ولغياب أي إصلاح جدي، تمت أخيرا المطالبة بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره[98].

لقد رأينا من جهة أخرى، كيف أن الأمير خالد، مع تقديمه لبرنامج مطالب في إطار السيادة الفرنسية، قد طرح القضية الوطنية وظهر كرائد للحركة الوطنية الجزائرية. ومع نجم شمال أفريقيا، تم طرح القضية الوطنية من قبل منظمة مناضلين مهيكلة، كانت بمثابة برعم للحركة الثورية الجزائرية. فقد شكلت ذكريات المقاومة المسلحة الجزائرية[99]، والعقيدة الدينية بصفتها عنصرا في الشخصية الجزائرية وسببا في رفض المستعمَر تقبل المستعمر، والصياغات السياسية الأولى في نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين... كل هذا شكل العامل الأول لتأكيد وطنية نجم شمال أفريقيا. هناك تأثيرات أخرى ساهمت، منذ البداية، في إعطاء الإيديولوجية الجزائرية صبغتها الثورية. وفوق ذلك المناخ الثوري الذي اشتهرت به باريس، رمز الثورات والقضايا الدولية العادلة، وحماس المناضلين العاملين في طليعة الكفاح ضد كل أشكال الظلم والاستغلال، سواء تعلق الأمر بشعوب شمال أفريقيا أم بالزنوج، أم باليهود... أم بغيرهم.

من هذا النفس العالمي للتحرر، المنبعث من باريس ما بعد الحرب، شعر العمال الجزائريون بالقوة. وحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، إضافة إلى الثورة الروسية ومساعي وفود البلدان المستعمرة لدى عصبة الأمم والمظاهرات الأولى للوطنيين المصريين والسوريين، هذا فضلا عن عدد من القضايا التي ناقشها المهاجرون، وأثارت إعجابهم. لقد كانوا مجتمعين في خضم غليان باريس، أو في بعض المدن الفرنسية الكبيرة الأخرى، عرضة لكل المعتقدات الجديدة التي لم تكن أميتهم تسمح لهم بفهم شيء منها سوى الأفكار القوية البسيطة، التي تستجيب لحبهم لوطنهم وتعطشهم للكرامة؛ لم يحتفظ المهاجرون المنفيون، الضائعون في عالم معاد رغم كل شيء، إلا بعبارة استقلال الوطن الجزائري. وهوما كانت تقترحه عليهم الحركة الناشئة بين ظهرانيهم وتحت قيادتهم: إنه نجم شمال أفريقيا.

الذي جمع 3500 عامل للاحتجاج على أحداث قسنطينة[101]، صرحت جريدة «لومانيتي» بأن المظاهرة قد نظمها الشيوعيون. وقام نجم شمال إفريقيا بتصويب قاس، حتى يظهر إلى أي مدى كان الشيوعيون يحاولون الحد من شعبية المنظمة الوطنية[102]. وحسب شهادات العديد من الملاحظين، فقد نجح النجم في تأكيد استقلاله عن الحزب الشيوعي[103].

تم عقد تجمعات كثيرة في فرنسا لصالح اللغة العربية... واستعمل المناضلون آلاف الحيل لإبطال مناورات الشرطة. وهكذا منع في 1933 تجمع كان من المفترض إقامته في قاعة «دانتون» في آخر لحظة؛ فعمد المنظمون إلى استئجار قاعة في الدائرة الخامسة عشرة. وتم تجنيد كل سائقي السيارات الجزائريين، بحيث بمجرد خروج القادمين من محطة «سان ميشال»، كانوا يأخذونهم إلى مكان التجمع الجديد. وكان الاجتماع ناجحا للنجم[104]. وكان من المفروض عقد اجتماع آخر بتاريخ 15 ماي 1934 في قاعة «سوسيتي سافانت»، بحضور العديد من الرجال السياسيين لليسار منهم «دوكلو» و«مارسوبيفار» و«دوريو» و«جان لونغي». فعندما استولت الشرطة على القاعة انعقد الاجتماع في مكان آخر، رغم المنع. وفي الغد من ذلك تم تفتيش منازل القادة ومقر النجم. وتم توجيه الاتهام إلى القادة الثلاثة مصالي والعيمش وراجف. وأقيم في 04 أكتوبر 1934 تجمع كبير للتضامن مع الحزب الدستوري الجديد الذي تم اعتقال قادته. وقامت الشرطة بالاستيلاء على القاعة. ونشبت جراء ذلك مشاجرة حيث تم الصراخ: «الفرنسيون إلى البحر[105]».

تصلب نجم شمال إفريقيا المجيد والقمع

كان هناك رمز سيجسد التطلع إلى الاستقلال، فكان على النجم اختيار راية: كان يلزم علم، ليس علما للحزب، بل علم سيرمز للجزائر المستقلة. تم في بادئ الأمر التفكير في علم كله أخضر، لون الإسلام.

وفي سنة 1934 عقد اجتماع عند مناضل من الدائرة العشرين وهو بن اشنوحسين»، لاختيار ثلاثة ألوان:الأخضر والأبيض والأحمر، التي تمثل البلدان المغاربية الثلاثة، تونس والجزائر والمغرب وترمز إلى اتحاد شمال إفريقيا[106]. وفي تلمسان، كان العلم المستعمل أخضر مع هلال أبيض وظل أحمر. وبعد الحرب اتخذت راية حزب الشعب الجزائري الشكل الحالي للعلم الوطني. وأصبح العلم رمزا يفهمه المهاجر في فرنسا كما يفهمه فلاح الريف الجزائري البعيد.

لم ينس النجم المطالب الفورية للمهاجرين. وهكذا، وأثناء أحد التجمعات، طالب العمال الجزائريون المجتمعون في باريس بحرية ممارسة الدين الإسلامي، وإلغاء قانون نظام الأهالي، وكل التدابير الاستثنائية، وحل اللجنة الوزارية المشتركة لشؤون المسلمين[107]. لكن التأكيد كان على المطلب الأساس:الاستقلال. وقد كان هذا المطلب يتعدى لهجة الشكاية: «نعم، نقولها صراحة، نحن وطنيون، ونريد ونطالب بحقوقنا باسم لعدالة، ونطالب، باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها، بحرية بلدنا واستقلاله». «ثم، نطالب باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها، الذي نادى به الرئيس ويلسن في 1918، بالاستقلال الشامل لشمال إفريقيا[108].»

وجه الوطنيون تحديا للإمبرياليين[109]. وكان النجم يعتبر كل الانتخابات فرصا لإثارة مشكل شمال إفريقيا أمام الرأي العام، وللتوجه مباشرة للشعب العربي وإرشاده إلى واجبه الوطني. وكان النجم يتمنى وجود مرشحين يستطيعون الدفاع عن برنامجه[110]، لكن الوطنيين لم يكونوا بعد مستعدين للترشح للانتخابات في الجزائر.

لقد أثار وزير الداخلية انتباه الحاكم إلى هدف الحزب الوطني[111]: «إن لنجم شمال إفريقيا المجيد برنامجا محددا جيدا، ألا وهو طرد الفرنسيين من شمال إفريقيا وتشكيل دولة عربية مستقلة» ويشير إلى توسعه: (إنشاء فروع محلية خارج الناحية الباريسية، في المراكز التي تتواجد بها تجمعات من شمال إفريقيا). وهكذا تشكلت في ليون، في بداية 1934 جمعية العمال الجزائريين،

التي كانت تتلقى رغم تمتعها بمجلس إدارة منفصل، التعليمات من نجم شمال إفريقيا. وقد تحسن سحب جريدة الأمة فانتقل من 2000 نسخة إلى 3000 نسخة، كما كان يتم إرسال عدد كبير منها إلى الجزائر. وقد اضطرت السلطة العسكرية[112] لمنع المجموعة «عن جميع المقاهي المشبوهة». وكانت دعاية النجم تتوجه إلى جماهير العمال اليدويين. لكن كذلك إلى «الشباب الجزائري من البورجوازية العليا الجزائرية والتونسية والمغربية الذين قدموا إلى فرنسا من أجل الدراسة[113].»

لقد انهال القمع من جديد على قادة النجم. ففي 1934 حكمت محكمة الجنح على مصالي بسنة سجنا، والعيمش بتسعة أشهر، وراجف بستة أشهر. وقد أمرت محكمة الاستئناف التي قدم لها الطعن بدورها بمحاكمة جديدة أمام محكمة «آميان». وكانت تلك المحاكمة مناسبة لتجنيد عمال شمال إفريقيا في باريس. فقدم المناضلون والمتعاطفون بالقطار وبالحافلات بواسطة سيارات الأجرة إلى «آميان» لتأكيد تضامنهم مع قادة النجم. وقد نتج عن عمليات الاستنطاق حوادث كثيرة. فعندما أكد مصالي إنه متابع على ضوء قوانين آثمة، كان نصيبه هو الملاحظة من لدن القاضي: «لا يمكن للحقيقة أن تخرج من فم عربي.» فقرر المتهمون حينها عدم الكلام. وفي تلك الأثناء تم فتح تحقيق جديد ضد القادة الثلاثة لأنهم، حضوا خلال التجمعات الجنود الأهالي على توجيه أسلحتهم ضد فرنسا؛ فأدانتهم محكمة الجنح بستة وأربعة أشهر سجنا بسبب «تحريضهم العسكريين على العصيان والقتل». وتم رفع تلك العقوبات في 24ماي لى سنة و8 و6أشهر. وأقيم في «سان دوني» احتجاج جمع في بضع ساعات 2000 إمضاء لجزائريين. وأقيمت التجمعات في كل مكان. فكان لتجمع 22نوفمبر في قصر التعاضدية نجاح هائل[114]. وأطلقت عملية اكتتاب كبيرة في كامل فرنسا، وتم تنظيم حملة اضطرابات في ليون وسانتتيان وتيير وكليرمون فيران. واستمر نشاط النجم.

تم حل النجم المجيد في فيفري 1935، لكنه أعاد تأسيس نفسه مباشرة تحت اسم الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا.

وتم ايداع القانون الأساس للجمعية في مقاطعة السين بتاريخ 28 فيفري 1935. وكان هدف الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا التحرير المادي والمعنوي لمسلمي شمال إفريقيا. وكان برنامجه يصبو إلى جمع كل مسلمي شمال إفريقيا وذلك لتلقينهم التربية السياسية والاجتماعية، وحماية مصالحهم الوطنية المعنوية والاجتماعية والسياسية. وكان الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا يؤكد أيضا استعمال كل الوسائل التي يتمتع بها من أجل تحقيق أهدافه وعلى القيام بكل الدعاية الضرورية... كانت الصياغة معتدلة. لكن الإرادة في التطرق إلى القضية الوطنية وطرحها، ومنه التطلع إلى الاستقلال كانت جلية. وتظهر الوضعية الاجتماعية للناس الذين كان الاتحاد يريد التوجه إليهم بوضوح في هذه الجملة «تلقين التربية الاجتماعية وحماية المصالح الاجتماعية للمسلمين». وواصل الاتحاد على نهج النجم في مخاطبة العمال؛ فالانخراط في الاتحاد يعني القيام بالعمل السياسي، وهوالسبب الذي من أجله كان ممنوعا، لاسيما بالنسبة للقادة، الانتماء إلى منظمة أخرى دون ترخيص من مكتب المدير. فقد كان الاتحاد يجتهد في الحفاظ على استقلاله ويمتنع عن تلقي الإعانات المالية. وكان التنظيم مستوحى من تنظيم الأحزاب السياسية الحديثة. فتجد فيه العمل على فرض مبادئ انتخاب القيادة وحرية النقاش والانضباط[115]. وقد أوضح الاتحاد بأن له قانونا أساسا وبرنامجا سياسيا وانضباطا. وكان يطمح إلى جمع كل المسلمين ويريد إنشاء فروع في المدن الرئيسة لفرنسا.

كان يوجد في اللجنة الجديدة العديد من أعضاء القيادة السابقة، لاسيما مصالي الحاج وسي الجيلاني مسير جريدة الأمة وكحال أرزقي وربوح... وأصبح مصالي رئيسا لاتحاد مسلمي شمال إفريقيا. وبقي المقر الاجتماعي نفسه «13 شارع داغير». ولم يكن اسم اتحاد مسلمي شمال إفريقيا أكثر حظا في الانتشار

من أسم نجم شمال إفريقيا المجيد. فكان الحديث دائما عن النجم وواصلت المنظمة الجديدة نشاطات النجم، فأقامت تجمعات عديدة وانطلقت في الدعاية نفسها. وفي 9 جوان 1935، عقد الاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا جمعية عامة في «لافالوا بيري». فندد العيمش بسياسة الحاكم العام للجزائر. وقدم راجف سردا تاريخيا للحركة الوطنية منذ إعادة إنشاء النجم. وذكر مصالي بالكفاحات التي خاضها الحزب، وحشد التأييد في استنكار سياسة الاندماج وفي الترحيب بمبدأ برلمان جزائري. وانتخبت قائمة اللجنة التي قدمها مصالي بالإجماع. فقد كانت شخصية مصالي مندمجة مع الحزب. وفي 15 جوان أقامت الرابطة المناهضة للإمبريالية حفلا على شرفه. فبدأ رجال من اليسار يحملون نشاط النجم على محمل الجد. ونجح مصالي بعد إدانته في الإفلات من الشرطة حيث لجأ إلى جنيف.

ورغم القمع، استمر الحزب، تحت رمز كلمة واحدة، وهي الاستقلال وعلم (وهو علم الجزائر) وزعيم هومصالي.

3. التمكين للحزب في الجزائر وازدهار نجم شمال إفريقيا:

في ماي 1933 انعقدت في الجزائر جمعية عامة للمناضلين أحباب «الأمة» للعاصمة وضواحيها. ودار النقاش حول المشاركة في المجلس الوطني لشمال إفريقيا في باريس. وتم تعيين مصطول ليمثل فروع الجزائر في المجلس.

الفروع الأولى لنجم شمال إفريقيا في الجزائر

جلب مصطول معه من باريس معدات دعاية. وقدم عرضا في اجتماع عقد بشارع «بناشير» في القصبة. وتم إنشاء أول فرع لنجم شمال إفريقيا بالجزائر بعد هذا الاجتماع. وكان يترأسه مصطول، وينوب عنه خيذر ومزرنة وخليفة بن عمر... وشملت سلطة فرع الجزائر الفرعين النقابيين (طراموای الجزائر وسكة الحديد الجزائرية على الطريق) والبليدة وبوفاريك والشراقة والأربعاء.

وربط بنون انطلاق فرع الجزائر بازدهار مبيعات جريدة الأمة في البلد وكانت هناك الجرأة حتى على عرض مائة نسخة للبيع العمومي في كشك «بادوغليو» بساحة الحكومة (تسمى اليوم ساحة الشهداء). وكان من عادة القادة الاجتماع في مقهى بورحلة. وأصبح مناضلو الحزب الوطني الثوري في غالبيتهم مناضلين في النجم، وحاول بعضهم مثل بوقرط، ودون جدوى، إلحاق الفرع الجديد بالحزب الشيوعي في الجزائر في السرية. وكان للحزب مقران اثنان بشارع «بورت نوف» وشارع «راندون». وكان المقران رسميا أقسام دراسة (مدرستين حرتين). وكانت تستغل في الواقع لعقد اجتماعات اللجنة المركزية. وكان المناضلون الأوائل من العمال البسطاء وموظفي طراموای الجزائر وسكة الحديد الجزائرية، ومن التجار الصغار. لم يكن هناك مثقفون، كان أعلاهم شهادة بن سماعين الذي كان متحصلا على الشهادة الابتدائية. وكان فرع مدينة الجزائر مكونا من العمال الكادحين.

بعد فروع كل من الجزائر وبوفاريك والبليدة، تم خلال سنتي 1934و1935 إنشاء فروع تلمسان وقسطينة وفيليبفيل (سكيكدة حاليا). وكانت هناك لوائح للاكتتاب لصالح النجم تتنقل بين المدن الجزائرية. وقد أشار محافظ عنابة (بون سابقا) بأن رئيس رابطة مكافحة الكحول، سخراوي حمدة، كان يجمع الأموال، ويضمن السرية التامة للمانحين[117]. وحتى يمكن تضليل الشرطة، قامت القيادة بتحويل الفروع الفرعية إلى لجان أحياء ولجان مهنية. فأصبح النجم في الجزائر منظمة واسعة. وكان يجب التنسيق بين كل الفروع. وبدت الحاجة ملحة إلى ضرورة إنشاء لجنة مديرة.

قلق الحكومة العامة

تسمح لنا قراءة بعض تقارير الشرطة[118] بالإحاطة بنجاح عملية التوزيع السري لجريدة الأمة. فهناك رسالة وجهها الحاكم إلى محافظي المقاطعات الثلاث ينبههم فيها بالجريدة الجديدة، التي صدر عددها الأول في أكتوبر

1930 وسحب منها 2000 نسخة. وقامت مصالح البريد والمواصلات بحجز 19نسخة في قسنطينة، وأرسل محافظ المقاطعة تقريرا إلى المشتركين[120]. وفي سطيف كانت الجريدة تستلم في طرد مغلق، «ثم يقومون بتوزيع الجريدة خفية»[121]، وقد أوضح نائب محافظ قالمة بأن الجريدة كانت توزع بانتظام[122]. وكانت حزمة من الجرائد تصل في كل مرة إلى مستغانم[123]. وأشار المتصرف الإداري لقالمة[124] إلى أعداد تم حجزها في دوار شنيور. وفي مدينة الجزائر وحسب رئيس الأمن[125] فإن موزعا استلم 590 نسخة، وباع منها 230 نسخة بسرعة.

هنأت جريدة الأمة في سحبها لشهري نوفمبر وديسمبر 1931 شبيبة شمال إفريقيا على احتضان الأعداد الأولى وتوزيعها. ونشرت الجريدة رسائل عديدة من القراء. ولم يكن عدد الجرائد يقلق الحكومة المؤقتة أكثر مما كانت تقلقها لهجة بعض المقالات. ففي 1934 وجهت رسائل عديدة من قياد إلى وزير الداخلية يطلبون منه متابعة مسئولي الأمة وحظر جريدتهم. وقد أشار الحاكم العام إلى المقالات الأكثر عنفا[126].

نبهت مصالح الحاكم العام مرات عديدة وزارة الداخلية إلى العواقب الوخيمة لمقالات الأمة على عقول الأهالي. وحسب الحاكم فقد تم نشر جدول العمل التالي، المصادق عليه خلال اجتماع في باريس بتاريخ 05أوت، في قسنطينة: «إنهم مسلمو شمال إفريقيا المجتمعون بتاريخ 19 أوت بشارع «غرانج أوبيل» يعلنون موافقتهم الكاملة للموقف المشرف لإخواننا في الإيمان الذين رفعوا التحدي وردوا على تدنيس المسجد الإسلامي وعلى سب المؤمنين ونبينا الكريم.

«عاش الكفاح من أجل تحرير مسلمي شمال إفريقيا
عاش استقلال شمال إفريقيا
عاش الإسلام.»[127]

كان الحاكم العام يعتبر أخطر التصريحات هي تلك التصريحات كالتي أطلقها العيمش في إحدى المقالات «الصليب ضد الهلال»؛ فكتب: «إننا نحيي

بحرارة هذه اليقظة التي طال انتظارها والتي نادينا بها بدل قوانا. فليجتمع شملنا إلى الأبد ويختم عليه بدماء مقاتلي قسنطينة الأمجاد، فلتكن تضحيتهم نبراسا لخوض كفاح مشترك من أجل القضاء على جلادينا. وسيكون ذلك بمثابة اليقين بنهوضنا الفوري ويضمن النصر النهائي. فباتحادنا سننتصر. لأن الصليب أضعف من أن يحطم الهلال».

لقد اعتبر القادة متعصبين لأنهم «كانوا يقسمون، وأيديهم على المصحف، على الكفاح من أجل الإسلام، ومن أجل الحق ومن أجل شرف مسلمي قسنطينة الذين ضحوا بحياتهم من أجل الحقوق، ومن أجل الشرف ومن أجل الكرامة الإسلامية.»

نبه الحاكم العام، في رسالته بتاريخ 4 أكتوبر1934 (ومن جديد) وزير الداخلية للنداءات النارية للنجم[128]:

«أيها التونسيون، أيها المغاربة، أيها الجزائريون!علينا، أمام خطورة الوضع الحالي، أن نتحد أكثر من أي وقت مضى، لنبعث اتحاد جماهير شمال إفريقيا؛ من طنجة إلى تونس، من أجل مطالبنا والكفاح من أجل حريتنا الوطنية:

«إن المستقبل لنا. فلنكن منظمين جيدين من أجل إرشاد الشعب المنتصر إلى طريق النصر».

«إننا نطالب، باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها، بحرية بلادنا واستقلالها ».

ثم، بعد ذلك، نجد في المقالة نفسها:

«لقد فات الأوان، فالنهر يتدفق بغزارة. ولن تتوقف الحركة إلا بالتحرير الكامل لبلادنا.»

وحاولت قيادة النجم في الجزائر الاتصال بانتظام أكثر بمنظمات اليسار وبالشيوعيين. وحسب مصطول، فإن الاتصالات لم تكن سهلة، لأن عناصر النجم كانوا يعتبرون شبابا مستتيرين، كمجانين يجرؤون على الصراخ أمام

الملأ بكلمة «استقلال». وكان العلماء، وخاصة الشيخ العقبي، يحاولون تلطيف حماس المناضلين. فقد كان العقبي يلح معهم على أهمية الدين الذي «كان وحده القادر على جلب بعض الإصلاحات للشعب الجزائري».

أما بالنسبة للشيوعيين، المفزوعين من شجاعة وحيوية الثوار الجدد الأقوياء وحيويتهم بدعم الشعب وإيمانه، فإنهم اجتهدوا، لكن دون جدوى، في تعليمهم «الدين أفيون الشعوب. والدين عقبة أمام كل تطور للشعوب». ولما وجد مناضلو النجم أنفسهم بين تيارين، قرروا مواصلة طريقهم لوحدهم: تنظيم حزب متماسك هدفه استقلال الجزائر.

قابل العلماء جرأة النجم بالفتور، بينما ناصبها الشيوعيون العداء. ولم يتردد المناضلون الوطنيون، مع احترامهم لما كان يمثله العلماء والإسلام واللغة العربية، في اتهامهم رغم ذلك بعدم الخوض في السياسة. وفي 15 جويلية أقامت «الشبيبة» وهي مؤسسة تربوية، حفلا في سينما «ماجيستيك»، وأخذ الشيخ العقبي الكلمة، وقام بتحية الصنيع الحضاري الذي تقوم به فرنسا وقد هاجمته جريدة الأمة[129] التي وصفت إدعاءاته المنمقة بالكذب لصالح الصنيع «السفلسي» (Syphilisation) الذي تقوم به فرنسا الجمهورية الكريمة والإنسانية». وقد عابت عليه الجريدة تصريحه: «في الجزائر ليست فقط الأرض فرنسية بل كذلك الهواء والنور.» وذكرته في الختام: «إن الجزائر لم تكن قط فرنسية، وهي ليست فرنسية ولن تكون أبدا فرنسية بإرادة أبنائها.»

لم ينجح الشيوعيون في أخذ القيادة من المناضلين الثوريين الذين كان يستهويهم النجم. ولم يستطيعوا، كذلك تشكيل جبهة موحدة[130]. واتهم أنصار الأمة الذين رفضوا الانطواء تحت وصايتهم بأنهم يريدون خنق الشيوعية[131]. انطلقت جريدة «La Lutte social» في حرب ضد وطنيي نجم شمال إفريقيا، واستنكرت الغوغائية الخطابية التي كانوا يستعملونها حتى يجروا وراء برنامجهم الغامض عناصر ثورية نزيهة[132]. وقد أكدت الجريدة التي كانت تستقوي بمرجعياتها الدولية بأن: «وعندما نقول بأنه لا نجم شمال إفريقيا ولا أية

منظمة وطنية أخرى سيكون بمقدورها خوض كفاح معتبر إلى آخر المطاف من أجل تحرير الجزائر، فإننا نستند إلى التجربة الدولية للحركة الوطنية التي لايمثل فيها نجم شمال إفريقيا إلا حلقة». كان الشيوعيون يتهمون أنصار الأمة بالغوغائية وبشد الانتباه «بعباراتهم النارية ضد الإمبريالية[133]» واتهم الأمير شكيب أرسلان، (زعيم الحركة القومية العربية) والذي ألهمت وطنيته أنصار النجم بأنه «مقعد المحافظ البريطاني السامي[134]»، وبأنه مرتد «دخل في حرب ضد المسلمين والبلشفيين[135]».

أرادت جريدة «الصراع الاجتماعي» تشبيه جريدة الأمة، لسان حال نجم شمال إفريقيا الثوري، بالجرائد الإصلاحية الأخرى، الإقدام و«لاديفانس» وصوت الشعب. بالنسبة للشيوعيين، كل هذه الجرائد كانت تساند الخط السياسي نفسه: «مقلاع» ضد الإدارة الإمبريالية «من أجل الحصول على بعض التنازلات في إطار مصالح الطبقة البورجوازية[136]». وقد كانت الاتهامات خاطئة فيما يخص جريدة الأمة. وكانت غلطة الشيوعيين الجزائريين تتمثل في عدم فهمهم للطبيعة التاريخية للحركة الوطنية الجزائرية وأولوية تجمع الخاضعين للاستعمار ضد النظام الاستعماري على التباين الطبقي، وقدرات حركة كانوا ينفون دورها الحاسم في المسعى نحو التحرر الوطني. وبالنسبة للشيوعيين لم يقم قادة النجم بإعادة نقل مطالب الحزب الشيوعي في برنامجهم، ولا يرتكز التجمع الذي كان النجم ينادي به على أي شيء متماسك، لأنه لم يراع التباين الطبقي[137]. وحسب جريدة «الصراع الاجتماعي» يجب كسر الرابطة التي تصل الأغنياء بالفقراء: «لا تستطيع الحركة الوطنية لنجم شمال إفريقيا الوصول والتوقف إلا عند مرحلة محددة... ولا تستطيع الذهاب إلى آخر المطاف، لأن وطنيي نجم شمال إفريقيا لن يستطيعوا لعب دور الطليعة في الثورة المناهضة للإمبريالية في الجزائر، ولا في أي بلد آخر في شمال إفريقيا. فالشيوعية وحدها ستحرر «الجزائر» وهوما أخطأوا فيه.

4. نجم شمال إفريقيا، حزب وطني مناهض للفاشية:

كان نجم شمال إفريقيا قبيل الجبهة الشعبية يبدو كالمنظمة الوحيدة المتماسكة والممثلة للجزائريين المقاومين في فرنسا (138). ففي الجزائر كانت الشبيبة في الأوساط الشعبية تستهويها كتابات الأمة التي كانت تطرح القضية الوطنية بطريقة مباشرة، وكما لم تقم أبدا أي جريدة أخرى بالتطرق إليها. وقد شكل قمع الشرطة والإدارة الاستعمارية عائقا أمام توزيع الجريدة، وكانت الشرطة والإدارة تجتهدان في منع الحزب الوطني من تنظيم نفسه، بحرية في وضح النهار. أما الفروع التي أُنشئت في بعض المدن فلا تزال في تكوين الإطارات وفي بداية نشاطها.

أصبح النجم في فرنسا حزبا سياسيا واقعيا. وقد عززت الرابطة بين شكيب أرسلان ومصالي في جنيف الإلهام الإيديولوجي العربي الإسلامي للحركة الوطنية الجزائرية. وهوما منع النجم من التصرف كمنظمة لعمال جزائريين واعين لخطر التهديد الفاشي، ويرغبون في العمل إلى جانب منظمات اليسار الفرنسية.

مراقبة عمال شمال إفريقيا

ضاعفت الحكومة من يقضتها تجاه العمال المهاجرين، وأطلقت يد الشرطة الخاصة التي أنشأت في 1925. وقد كانت مصلحة الحراسة وحماية أهالي شمال إفريقيا هذه (وهو الاسم الرسمي) قبل كل شيء تنظيما بوليسيا، كان مقره في رقم 06، شارع «لوكونت». وتم على هامش هذه المصلحة تدشين مستشفى للفرنسيين المسلمين، مختص في علاج المهاجرين في «بوبيني» عام 1935. وكان من بين 83 موظفا في هذه المصلحة، 63 موظفا تابعين لمحافظة الشرطة. وكان توظيف العمال تشوبه اختلالات كثيرة. فحسب تقرير رسمي أعد في جانفي 1936، كان يجمع في «المصلحة الجديدة رجال لا تتوافر فيهم الشروط الأخلاقية الكافية: فكان يضم إليها أناس تم توقيفهم بسبب السرقة والاحتيال والاختلاس، «وقد أطلق موظفون سامون العنان لأنفسهم إلى حد

ارتكاب أعمال غير شريفة جلبت لمرتكبيها عقوبات تأديبية». ولم تكن كتيبة شمال إفريقيا تحظى بالشعبية في أوساط الهجرة. وكان مفتشو المصلحة المكلفون في الوقت ذاته بالتحقيقات القضائية والتحقيقات الإدارية، يضمنون المراقبة العامة على عمال شمال إفريقيا. وعلى اجتماعاتهم، والغرف المفروشة والنفقات، وكانوا يخبرون الحكومة بكل التحركات السياسية وغيرها التي يمكنها أن تحدث بين أهالي شمال إفريقيا وكانت هناك ملفات جد دقيقة لإحصاء كل المكاتب التي من شأنها معرفة عمال شمال إفريقيا ومراقبتهم.

مصالي في جنيف

أعاد مصالي (الذي أطلق سراحه في أول ماي 1935)، بعث دعايته: فتم حينها إنشاء عدة فروع في الناحية الباريسية. وفي تلك الأثناء رفضت محكمة النقض الاستئناف الذي قدمه قادة النجم على إثر إدانتهم الثانية، وفي 24 ماي 1935، استطاع مصالي الهروب، وألقي القبض على القياديين الاثنين الآخرين. وفي جنيف أطلق مصالي حملة لصالح إثيوبيا التي هاجمتها إيطاليا. فتدخل لدى عصبة الأمم، وأشار إلى أن القضية الأثيوبية تندرج في إطار عام، وهوالإطار العام للسياسة الإسلامية التي تتبعها القوى الغربية، وطرح قضية الهيمنة الفرنسية في الجزائر. واتصل مصالي بشكيب أرسلان وتأثر أيما تأثر بتصورات زعيم الأمة العربية. في تلك الفترة، عبر شكيب أرسلان، الذي كان متهما بتعاطفه مع ألمانيا، عن شعوره بالصيغة التالية: «إن عدو عدوي صديقي. ها هي الحقيقة بكل وضوح[140]». فقد كان تفكيك الإمبراطورية الإسلامية من صنيع انجلترا وفرنسا على الخصوص. قد اتهم شكيب أرسلان فرنسا بسياستها البربرية «التي كانت تتمثل في إخراج ملايين البربر المسلمين منذ اثني عشر قرنا من دينهم الإسلامي» وشبه السياسة الدينية الفرنسية مع «جيشها من المبشرين المسيحيين المتوغلين في كل القرى البربرية» بسياسة الفاشية المسيحية التي كانت «مع إظهارها للامسيحية الشاملة، تمتنع بجدارة عن كل دعاية دينية نصرانية بين رعاياها». وكان يأسف لعدم المقدرة أبدا على إقناع فرنسا بأن تكون في فاس

وفي الجزائر وفي تونس وبيروت كما هي في باريس، لأنها «كانت متشبعة بفكرة مفادها أن عليها في البلدان الإسلامية ارتداء ثوب الكهان، وهذا ما يناقض مصالحها وسمعتها الطيبة».

اتخذ شكيب أرسلان مبادرة لتنظيم مؤتمر إسلامي أوروبي في جنيف، وكان الهدف توحيد مسلمي أوروبا مع مسلمي الشرق. وقد قرر نجم شمال إفريقيا المشاركة في المؤتمر حيث مثله وفد مصالي الموجود أصلا في جنيف، وبنون والعيمش من باريس، ودزيري، وبادك من ليون. دام المؤتمر 5 أيام من 12 إلى 17 سبتمبر، ندد خلاله مصالي بالسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب، وعندما أشير له بأن على المؤتمر التكفل بالقضية الإثيوبية فقط، دافع عن كون الأمر يتعلق بالمشكل نفسه وبأن الاضطهاد الاستعماري هو المرحلة الثانية بعد العدوان. وعندما أراد الجزائريان الاثنان اللذان أرسلتهما الإدارة، أحدهما عن باريس والآخر عن الجزائر، الدفاع عن الصنيع الاستعماري الفرنسي، هددهما مصالي بفضح دورهما أن هما أخذا الكلمة[141].

وفي فرنسا واصل الحزب رغم توقيف قادته نشاطه فقد شارك نجم شمال إفريقيا في كل الاجتماعات والتجمعات التي نظمت في 1935 للاحتجاج على العدوان الفاشي على إثيوبيا. ووضع نشاطه على الصعيد الدولي في إطار كفاح الشعوب المضطهدة. وسجلت اللائحة (المصادق عليها في 9 نوفمبر 1935، للمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين في فرنسا والجزائر وتونس) إرادة النجم في «العمل من أجل تحرر العالم من نير الاستعمار المثير للحروب، ومن أجل الحرية والمساواة والأخوة بين الشعوب».

النجم إلى جانب اليسار المناهض للفاشية.

ندد اليمين الفرنسي بنجم شمال إفريقيا. ففي 1934 تعرض الحزب إلى هجمات عنيفة من قبل جرائد «لوجور» و«لوفيغارو» و«لاليبرتي» و«غرينغوار» التي قدمت المناضلين الوطنيين على أنهم مشاغبون معادون لفرنسا لصالح الحزب الشيوعي. وحاول النجم عبثا التأكيد باستمرار بأنه لم يكن معاديا لفرنسا ولا

شيوعيا، لكن بأن الجزائريين يحبون بلدهم « بالحب نفسه الذي يحب به أي فرنسي بلده». ويرغبون «في الحريات الديمقراطية نفسها التي يتمتع بها جميع مواطني العالم[142]». لكنه لم يستطع إقناعهم. وقد أدت الخيارات السياسية للنجم (لصالح الشعوب المستعمرة، ولصالح الديمقراطية والحرية، والتركيبة العمالية لمناضليه، بالحزب، بينما كان من عادة الجزائريين عدم التدخل في السياسة الداخلية الفرنسية والاهتمام فقط بمواقف الأحزاب الفرنسية فيما يخص القضية الجزائرية) إلى التجند خاصة ابتداء من 1934 ضد تجمعات أقصى اليمين.

كان قادة النجم يظنون بأن اليسار الفرنسي سيساند مناضلي القضية الجزائرية. واستجابة لنداء منظمتهم، شارك وطنيو النجم في المظاهرات المناهضة للفاشية في فيفري 1934 : «لقد ذهبنا تقريبا إلى كل مكان وإلى كل المصانع لدعوة أبناء وطننا للمشاركة في المظاهرات، ولنطلب من مسؤولينا الانضمام إلى لجان الوحدة مع اليسار، وخاصة مع لجان اليسار وخاصة مع لجان تجمعات أمستردام- بلايل[143]»

في 03 جويلية 1935 صرحت محكمة السين بعد دراستها للطعن المقدم ضد حكم 20 نوفمبر 1929 القاضي بحل نجم شمال إفريقيا بانتهاء مدة صلاحية الحكم لعدم إتباعه بقرار التنفيذ. وهكذا استعاد نجم شمال إفريقيا الشرعية من جديد. وقانونيا لم ينته وجود النجم.

في 14 جويلية، استجاب 4000 جزائري في باريس لنداء نجم شمال إفريقيا وشاركوا إلى جانب منظمات من اليسار في الاستعراض التقليدي من «لاباستي» إلى «لاناسيون». وكانت الشعارات الرئيسة التي كان يهتف بها العمال المهاجرون هي :«أطلقوا سراح شمال إفريقيا! الأرض للفلاحين! الحرية للجميع وفي كل مكان! أطلقوا سراح المبعدين التونسيين والجزائريين والمغاربة».

وكان للمظاهرة صداها في ليون حيث حيا السكان عمال شمال إفريقيا بتصفيقات حارة[144].

وفي الجزائر استجاب نجم شمال إفريقيا لنداء الحزب الشيوعي، وانضم إلى منظمات اليسار. وخلال تجمع نظمته الجبهة الموحدة المناهضة للإمبريالية في ديسمبر 1934، أخذ ممثل عن نجم شمال إفريقيا الكلمة مساندا لتصريحات الحزب الشيوعي وللقسم الفرنسي للأممية الشغيلة. وطالب البيان النهائي بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين الشيوعيين والوطنيين. في جانفي 1935 أبدت جريدة «الصراع الاجتماعي» ارتياحها لملاحظة أن الجبهة الموحدة قد تشكلت فعلا، وإن كانت تضم نجم شمال إفريقيا و(الاتحادية العامة للعمل الوحدوي) (CGTU) و(الاتحادية العامة للعمل) (CGT) الحزب الشيوعي والمنظمات المناهضة للفاشية. ومن المنظمات الإسلامية كان نجم شمال إفريقيا أول منظمة تلتحق بالجبهة المناهضة للفاشية المشكلة في الجزائر.

لقد وضعت الطليعة الوطنية للشعب الجزائري ثقتها في اليسار الفرنسي، وانضمت إليه في مواجهة الفاشية. وكان نجم شمال إفريقيا يأمل في رؤية القضية الجزائرية تطرح من قبل هذا اليسار حينما يأخذ السلطة. وكان هذا الأمل يشاطره فيه في الجزائر المنظمات المعتدلة والشعب الجزائري.

5. *نجم شمال إفريقيا، حزب وطني جزائري حقيقي:*

في 1935 أصبح نجم شمال إفريقيا منظمة تعنى أساسا بالمشاكل الجزائرية. فقد التحق التونسيون بمنظمتهم الوطنية، الدستور الجديد، الذي تأسس في مارس 1934، وانضم المغاربة إلى جمعية العمل المغربي، التي أنشئت خلال صيف 1934. وفي قيادة الحزب كان الدور الأهم يتحمله مصالي، الذي [...]ني رئيسا منذ الجمعية العامة لجوان 1926، جامعا هذه المسؤولية مع مسؤولية [...]دير السياسي لجريدة الأمة. أما أعضاء المكتب الآخرون، فلم تكن لهم

الأهمية نفسها مصالي، نظرا لتغييرهم الدائم. لكن منذ 1930، لعب مسؤولون جدد دورا فعالا إلى جانب الرئيس.

اخذ النجم هيئة حزب، وأصبحت خلايا الأحياء والمؤسسات تقدم عروضا عن نشاطاتها إلى المكتب المركزي. وابتداء من 1935 تم إنشاء فروع محلية مستقلة، مع مكتب مسؤول يضم رئيسا وأمينا عاما وأمين مال ومساعدين. وتضم هذه الفروع خلايا الأحياء والمؤسسات، وتم تشكيل نواح حول ليون مع «بادك»، وحول مدينة الجزائر. وقد أعطت هذه الهياكل لنجم شمال إفريقيا تنظيما متماسكا، مرتبطا خاصة بالطابع الدائم لمسؤوليه، وبقوة برنامجه الوطني.

يتمتع النجم في الواقع بعقيدة وطنية. وقد رأينا أن «استقلال الجزائر مع سحب القوات الفرنسية المحتلة وتشكيل جيش وطني» كانت الشعارات الأساسة لنجم شمال إفريقيا لحظة إنشائه. وقد تمت معاودتها في الجمعية العامة لشهر ماي 1933، حيث كان استقلال الجزائر يستلزم أولا سحب القوات الفرنسية وتشكيل جيش وطني. وهذا ما يدل على الأهمية التي كان يوليها مناضلو النجم للقوة المسلحة في احترام الاستقلال. كان الاستقلال بالنسبة للنجم هوالسيادة الشعبية التي كانت أساس المطلب المسجل من 1929 في برنامج نجم شمال إفريقيا: «تعويض المندوبيات المالية المنتخبة عن طريق الاقتراع الضيق ببرلمان جزائري منتخب بواسطة الاقتراع العام». وفي 1933 أضاف نجم شمال إفريقيا توضيحا «مجلسًا تأسيسيًا منتخبًا عن طريق الاقتراع العام». وفي 1935 دقق نجم شمال إفريقيا من جديد في هذا المطلب: «إلغاء المندوبيات المالية وإنشاء برلمان جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام، دون تمييز عرقي أوديني.»

كانت الأفكار القوية للبرنامج السياسي للنجم محددة بصفة واضحة ودقيقة: فقد طرحت القضية الوطنية في إطارها الحقيقي.

لم يكف النجم منذ إنشائه عن المطالبة في صياغة دقيقة وبسيطة وواضحة باستقلال الجزائر، لكن مع المطالبة باستقلال الجزائر. وقدم منذ 1927 برنامج مطالب فورية مستوحاة من البرنامج الذي كان قد سطره غداة الحرب العالمية الأولى الأمير خالد، باستثناء التمثيل البرلماني. فقد تم تصور البرنامج في إطار جزائر غير محررة. وفي 1933 ميز نجم شمال إفريقيا في برنامج المطالب الفورية هذا، المطالب المعدة لصالح العمال المهاجرين في فرنسا، عن المطالب المقترحة من أجل الجزائر. وزيادة على ذلك، أضاف النجم الإصلاحات التي سيتعين على «حكومة وطنية ثورية» إنجازها في إطار الجزائر المستقلة. وتبدي المقارنة بين برامج 1927 و1933 و1935 وفاء ثابتا لمبدأ الاستقلال واهتماما بالدقة ونضجا مؤكدا، لكنها تظهر في الوقت نفسه على المستوى التكتيكي إما ترددا - في نشاط شرعي أو ثوري - وإما خيارا مزدوجا - في الإعداد للنهج الثوري دون إهمال العمل السياسي.

كل شيء كان مرهونا بالطريقة التي كان الرأي العام الفرنسي، خاصة أحزاب اليسار المعادية، والحكومة الفرنسية سيردون بها على المنضمة الوطنية على الصعيد النظري للنزعة الاستعمارية، أوقل لتجاوزاتها.

نجم شمال إفريقيا بين الاندماج السياسي وإلحاق الجزائر بفرنسا

بما أن نجم شمال إفريقيا قد ساند التجمع الشعبي، بصفته منظمة مناهضة للفاشية، فقد طرح بطريقة معتدلة القضية الوطنية على الحكومة المنبثقة من الجبهة الشعبية. وقد شجب بقوة سياسة الإلحاق التي اقترحها المؤتمر الإسلامي، ومشروع «بلوم - فيوليت». وقد كان نجم شمال إفريقيا عرضة للهجمات الحادة نفسها من اليمين كما من اليسار الفرنسي، باستثناء بعض المجموعات الصغيرة، وتنكّر له أنصار المؤتمر الإسلامي، فكانت نهايته الحل من قبل حكومة الجبهة الشعبية. لكن القمع لم يوقف الزحف الوطني. فنجم شمال إفريقيا لم يمت؛ فقد ولد من جديد، تحت اسم حزب الشعب الجزائري.

1. نجم شمال إفريقيا في مواجهة الجبهة الشعبية والمؤتمر الإسلامي:

كانت قوة نجم شمال إفريقيا مستمدة من هجرة العمال الجزائريين إلى فرنسا. وكان عدد هؤلاء المهاجرين يزداد بانتظام[1]. ولم تغب أهمية القضية عن حكومة الجبهة الشعبية. وقد خلص تقرير مهم[2] إلى الأسباب الاقتصادية والسياسية لتلك الهجرة: جاذبية الربح (من 40 إلى 100 فرنك، وحتى أكثر من ذلك، في حين كانت الأجور تقريبا محددة في الجزائر بحوالي 10 إلى 12 فرنكا)، الأمل في معيشة أحسن، واستقلالية وحرية واحترام أكبر مما هو عليه الحال في الجزائر. واعترف التقرير بالدور السياسي المتنامي للمهاجرين عند

عودتهم إلى الجزائر، لاسيما دور أولئك الذين كانوا يشتغلون في ويشكلون عاملا نشطا في التشويش النقابي وفي الأحزاب المتطرفة. وفي فرنسا بقي العمال الجزائريون أوفياء لمنظمتهم السياسية: نجم شمال إفريقيا وكان على تقرير آخر للجنة العليا المتوسّطية ولشمال إفريقيا. الاعتراف بأن: «المهاجر يكون دائما فريسة للتطرف ويستمع بسهولة إلى كلّ من يعده بمجتمع أكثر عدلاً». وكان المقرر يعتبر نجم شمال إفريقيا أوّل منظمة «مهاجرين»، والأكثر نشاطاً، حيث عقدت خلال عام 1936 أكثر من 100 تجمع، في النّاحية الباريسية وحدها. فقد كان يمارس سياسة المقاهي؛ إذ يقوم أحد المنخرطين بفضل أموال الاشتراك، بشراء مقهى عربي ليصبح فوراً مركز تجنيد وإعلام للمنظمة. وكان هناك طلبة على علاقة بقيادة نجم شمال إفريقيا[4]. وكانت نوادي التربية التي أُنشئت بإيعاز من جمعية العلماء من أجل «الاستمرار في التربية الفكرية والأخلاقية والاجتماعية» لمسلمي النّاحية الباريسية، ومنذ بداية تأسيسها، قد استفادت من دعم نجم شمال إفريقيا، وساهمت بدورها في الدّعاية له. وبعد ذلك، أدّى النّزاع مع العلماء بقيادة نجم شمال إفريقيا إلى الدّخول في حرب ضدّها. وقد بقي تأثير هذه النّوادي على الصّعيد السّياسي محدوداً، كما كان تأثير «رابطة الدّفاع عن المسلمين» في جماهير المهاجرين كذلك منعدماً. وقد آلت هذه الجمعيّة على نفسها المساهمة في التّنمية الأخلاقيّة والثّقافيّة للمسلمين. وكان عدد المنخرطين بها ضئيلاً جداً؛ ولم يصدر من جريدتها «لوبوبل ألجيريان» (الشّعب الجزائري)، إلاّ خمسة عشر عدداً في ثلاث سنوات. وقد اكتسبت شهرة على إثر حملة ضدّ مصالح شارع «لوكومت». وتحوّلت الرّابطة تحت تأثير رؤسائها، «آيت علي وسي فضيل وبوشافة، (كان هذان الأخيران شيوعيين) إلى حركة مساندة للبرنامج الّذي أعدّه المؤتمر الإسلامي الجزائري. وقد استطاع الحزب الشّيوعي ضم بعض مئات الجزائريّين

لكن تأثيره ظلّ ضعيفاً، حيث لم تنجح مجهودات الشيوعيّين في استقطاب العناصر الوطنية.

لقد تعارض نجم إفريقيا كذلك مع المنتخبين. ففي ديسمبر 1935 لم تتحرّج جريدة الأمّة[5] - مع تهنئتها للدّكتور بن جلول على كونه أوّل منتخب يناهض الإدارة- من التنديد بخياره لصالح المواطنة الفرنسيّة. وفي 1936 هاجمته بعبارات عنيفة، في الوقت نفسه الّذي نددت فيه بزملائه في اللّجنة الوزارية المشتركة: «ليس من حقّ الدّكتور بن جلول والخليفة جلول ورفقائهما الحديث باسمنا وباسم الإسلام. فهم لم يشرّفوا الإسلام ولا المجتمع العربي، فبُعداً لكم! يا من لا قلوب لهم ولا شجاعة ولا كرامة. وعلى كلّ أولئك الّذين يحرّكهم الفكر نفسه، الذّهاب إلى الضفّة الأخرى: فليتجنّسوا وليتركونا نعمل من أجل بناء وطننا[6].» وقد دعا نجم شمال إفريقيا أعضاء وفد من المنتخبين كان في زيارة إلى باريس، للمجيء إلى نادي «فوبورغ» لشرح برنامجهم. لكن لا الدّكتور سعدان ولا فرحات عبّاس ولا لخضاري استطاعوا إقناع الحاضرين الّذين كانوا كلّهم آذان صاغية لممثلي نجم شمال إفريقيا.[7]

وعمّ القاعة صفير على بن جلّول عندما أكّد «مشاعر المنتخبين الخالصة للاندماج في الوطن الأمّ». ورداً على «كسوس»، من جريدة «الانتانت» (L'ENTENTE) (الوفاق)، الّذي كان يستهجن الحركة الوطنية ويؤكّد أن الجزائر بصفتها أرضاً تابعةً على مرّ الزّمان قد تتوصّل ببساطة إلى الاندماج الشّامل في الأمّة الفرنسيّة. يذكر بن سليمان بعبارة للكاتب «شارل آندري جوليان»: «لنفرض أنّنا كنّا دائما عبيدا، أليس لنا مع ذلك الحقّ في أن نصبح رجالاً أحراراً[8].»

إنّ نجاحات نجم شمال إفريقيا مردّها إلى جرأة برنامجه ورباطة جأش قادته، بقدر ما كان مردّها إلى الإجراءات القمعيّة الّتي كانت تسلّطها شرطة باريس الخاصّة على المهاجرين. فقد تحوّلت مصالح شمال إفريقيا إلى مصلحة

تجسّس، مكلّفة أساسًا بمراقبة المثقّفين؛ وقد أدّى تسلّط الشّرطة إلى إثارة كل المهاجرين تقريبًا، ضد مصالح شارع «لوكونت». وفي ديسمبر 1935، في المجلس البلدي لباريس، اتّفق مستشار من اليمين، وهوالسّيد «بروفوست دي لوني»، والشّيوعيّ «جاك غريسو» على فضحها.

وفي باريس، كان نجم شمال إفريقيا يحرص على أن يكون بطل القوميّة العربيّة. وكان ذلك سببا آخر لنجاحه. فقد جاء سوريّون إلى باريس للاتّصال بممثّلي الحكومة الفرنسيّة. واقترح عليهم نجم شمال إفريقيا تنظيم مظاهرة كبيرة، لكنّ المندوبين السّوريّين رفضوا ذلك. ورغم هذا تظاهر مناضلونجم شمال إفريقيا رافعين لافتات تحمل شعارات تنادي باستقلال سورية[9]. وكان نجم شمال إفريقيا أوّل منظمة جزائريّة تُحيّي بحماس استقلال مصر وسورية، وهوالاستقلال الذي كان يعتبره مرحلة أولى لتحرير كل البلدان العربيّة.[10]

1. نجم شمال إفريقيا يعرض برنامجه على الجبهة الشّعبيّة:

ساند نجم شمال إفريقيا مرات عديدة مظاهرات اليسار وتجمّعاته. وأمام خطر التّهديدات الفاشيّة اختار النّجمُ التّجمّعَ الشّعبي. وفي 12 جويلية شارك بباريس أكثر من سبعة آلاف عامل مهاجر جزائري، مع رفقائهم العمّال الأوربيين في الاستعراض التّقليدي. وطلبت لجنة التّجمع الشّعبي من الوطنيّين بعد نجاح استعراضهم، تحديد برنامجهم. وذكرت جريدة «الأمّة» الجبهة الشّعبية بأنّ «المنظّمات التي تساند أثيوبيا لا يمكنها أن ترفض لسكان شمال إفريقيا الأمل في التحرّر يوماً ما، ووضع حدّ للنّظام الاستعماري البغيض[11].» وفي جانفي 1935 عبّرت جريدة «الأمّة» عن خيبتها وهي ترى الجبهة الشّعبيّة تكتفي بالتّفكير في «تشكيل لجنة تحقيق برلمانيّة حول الوضعيّة في شمال إفريقيا»[12]. وفي فيفري 1936 قدّم نجم شمال إفريقيا في الوقت نفسه مع «لجنة الدّفاع عن الحريّات في تونس» و«لجنة الدّفاع عن المصالح المغربيّة»

مخطط مطالب فوريّة خاصّة بشمال إفريقيا

القوانين الاستثنائيّة وبالحريّات الأساسة وبالمساواة بين الفرنسيّين وسكّان شمال إفريقيا والاستفادة من القوانين الاجتماعيّة الفرنسيّة وبإصلاحات اقتصادية. ولم تطرح القضيّة الوطنيّة بصفة عنيفة، حيث يمكن استشفاف ذلك من خلال المطالبة بجمعيّة تمثيليّة منتخبة عن طريق الاقتراع العام. وكانت اللّهجة العامة المسيطرة هي لهجة الاعتدال والأمل، وكانت هناك ثقة في الجبهة الشّعبيّة. ولم يكن أحد يرغب في خلق صعوبات لها، لكن كان هناك ضغط عليها من أجل التّحرك بسرعة أكبر، مع انتقاد لجان التّحقيق المتزايد: «إلى متى وهُمْ يستهزؤون بنا؟ أن حكومة رفاق الأمس يردّون على صيحات شعب شمال إفريقيا اليائسة بإرسال لجان أخرى إليه[13].» وظلّ نجم شمال إفريقيا يقظا تجاه الجبهة الشّعبيّة، كما اليمين: «كفى لجانا من اليسار، كفى غوغاء من اليمين. فنحن في وطننا ونطلب الحقّ في الحياة».

واصل نجم شمال إفريقيا اتّصالاته مع قادة الجبهة الشّعبيّة. وفي 28 جوان، استقبل وفد يرأسه مصالي ويقوده السّيّد «روبيرت جان لونغي» وهوابن نائب اشتراكي من قبل «أوبو»، نائب مندوب الدّولة للدّاخليّة مكلّف بالقضايا الجزائريّة. وسلّمه دفتريْ مطالب يخصّان الجزائر وحدها. وكان الدّفتر الأوّل يعيد المطالب الفوريّة من أجل الجزائر، والمتضمّنة الاقتراحات المقدّمة في شهر فيفري لقادة الجبهة الشّعبية. وكان الدّفتر الثاني يوجز المطالب الفوريّة للجزائريين المقيمين في فرنسا:

- «إلغاء نظام الأهالي والقوانين الاستثنائيّة التي تحكم الجزائريين بما فيها الناحية الباريسية».
- حرية السفر إلى فرنسا وإلى الخارج.
- حرية الصحافة وحرية الاجتماعات وإنشاء الجمعيات.
- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمّالية على عمال شمال إفريقيا.

- إلغاء مصلحة حماية ومراقبة مهاجري شمال إفريقيا بشارع «لوكونت»
- إلغاء تخصيص مستشفى للمسلمين في «بوبيني» وقبول المرضى في مستشفيات دوائرهم.[14]

أشاد القادة «بالاستقبال الودّي واللّطيف الّذي حظي به» وفد نجم شمال إفريقيا، وعبّروا عن أمنيتهم في رؤية «الحكومة الفرنسية تدخل نهج الإنجازات العملية لتطلعات الشعب الجزائري، وهي إنجازات تقرّب عقول وقلوب الشعبين اللذين ربطهما قدر التاريخ من أجل عمل مشترك[15].»

لقد طرح قادة نجم شمال إفريقيا القضية الوطنية الجزائرية بوضوح، وبينوا دور فرنسا في تحرر بلدهم. وقد ذكر مصالي بذلك «بمناسبة جنازة أشرشور، وهوعامل جزائري كان ضحية للفاشية». وفي محطة «ليون»، صرّح مصالي أمام أكثر من خمسين ألف شخص: «إنّ سياسة الاندماج لا يمكن تطبيقها فالعقل يشجبها والعدالة والتاريخ. والحل الوحيد للمشكلة هوالتحرير الكامل لشمال إفريقيا. وإننا نقول صراحة، إننا نرغب ونتمنى في رؤية ذلك التحرر يتحقق بالمساعدة الفعلية لفرنسا وفق المصالح المشتركة[16].»

وعبر نجم شمال إفريقيا مرة أخرى، في ماي 1936 عن خيبته وهويرى الجبهة الشعبية تتجاهل تماما البرنامج الذي كان قد قدم لها. ولكن رغم ذلك، فقد ظل مناضلوه إلى جانب مناضلي الجبهة الشعبية. وقد شاهدنا ذلك في 24 ماي 1936 أمام حائط «المتحدين»؛ فلم تكن تلك المظاهرة المهيبة - بالنسبة للجزائريين- إحياء لذكرى بلدية باريس فحسب، بل كذلك إحياء لذكرى ثورة 1871: «لقد جاء سكان شمال إفريقيا ليستحضروا مع الشعب الفرنسي ذكرى أنصار البلدية، وفي الوقت ذاته ذكرى شهداء الحرية في شمال إفريقيا.[17]»

وأمام صمت الجبهة الشعبية، بعث نجم شمال إفريقيا نشرة إلى كل التجمعات ورجال السياسة في شمال إفريقيا، يطلب منهم فيها العمل على إنشاء

جبهة شعبية لشمال إفريقيا ويدعوهم إلى اقتراح «كأساس للوحدة، البرنامج الذي قدمه الوطنيون للتجمع الشعبي[18].»

لم يقطع نجم شمال إفريقيا رغم ذلك علاقته بالجبهة الشعبية؛ ففي 14 جويلية قام خمسة آلاف من عمال شمال إفريقيا بالاستعراض رافعين شعاراتهم الخاصة: «ليسقط قانون نظام الأهالي والقوانين الاستثنائية! أطلقوا سراح موساوي! التعليم باللغة العربية! عاشت وحدة واستقلال سورية! العفوللجميع![19].» وعندما هاجم بن جلول الشيوعيين، بعث قادة نجم شمال إفريقيا إلى وزير الداخلية برقية يندِّدون فيها برئيس المؤتمر، وأكدوا له على تضامن الشعب الجزائري معه في حربه على الفاشية[20]. ورغم تباطؤ الجبهة الشعبية وحالات التردد بين أحزاب اليسار فيما يخص موقفهم تجاه الوطنيين فقد ظل العمال الجزائريون إلى جانب رفاقهم العمال الفرنسيين. وقد أشادت جريدة الأمة[21] بأولئك الذين اتحدوا مع المضربين الفرنسيين واحتلوا معهم المصانع.

لكن نجم شمال إفريقيا ثار مرات عديدة على تباطؤ الجبهة الشعبية، وأكد ذلك في تجمعات عديدة[22]. لم يُرد نجم شمال إفريقيا قطع علاقته بالجبهة الشعبية، لكن تنبيهَها إلى الضرورة العاجلة للإصلاحات التي يجب منحها للجزائر.

2. نجم شمال إفريقيا يعارض سياسة الإلحاق المقترحة من قبل المؤتمر:

استفادت فروع نجم شمال إفريقيا من شدة الحياة السيئة المهيمنة في الجزائر في 1936، لتضاعف من نشاطها، والقيام بأولى أنشطتها الجماهيرية الهامة. فكان 01- 05- 1936، بالنسبة لنجم شمال إفريقيا مناسبة لتنظيم مظاهرات كبيرة ففي مدينة الجزائر، كان لعيد الشغل بالنسبة للمناضلين الوطنيين أهمية خاصة: لقد تجمع عشرون ألف مسلم في ميدان المناورات (ساحة أول ماي حاليا) رافعين لافتات تحمل كتابات وطنية. وكان على رأس الموكب اللجنة المديرة تؤطرها مصلحة أمن يحمل أصحابها شارات الحزب. وقد ترك

الانضباط انطباعا حسنا لدى الحشود التي قامت بتشجيع مناضلي نجم شمال إفريقيا بالتصفيقات والزغاريد. وارتفعت أمام مجلس المندوبيات المالية الآف الأصوات من الموكب هاتفة: برلمان جزائري! برلمان جزائري! «وتم تفريق الموكب في ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا). وفي هذه اللحظة رفع مناضل كان المتظاهرون يحمونه علما جزائريا، وجعله يرفرف طويلا تحت هتاف «عاش استقلال الجزائر!»[23] وفي تلمسان قام الوطنيون بالاستعراض مرتدين ربطة عنق خضراء عليها نجمة، وهم يهتفون: «عاش شمال إفريقيا! عاش الإسلام!» وقد وقعت اشتباكات مع الشيوعيين ومناضلي التجمع الشعبي. فمن جهة كان حوالي خمسين شيوعيا يغنون نشيد الأممية، ومن جهة أخرى كان الآف الوطنيين يرددون نشيدا من عهد الأمير خالد[24].

كان نجم شمال إفريقيا يأمل في المشاركة في المؤتمر. ففي عدد ماي - جوان، جاء في جريدة الأمة: «هاهو الشعب الجزائري أخيرًا يسمع صوته. لقد رفع المؤتمر الذي قام بالإعداد له العلماء، وعلى رأسهم الشيخ ابن باديس، ومناضلونجم شمال إفريقيا والحزب الشيوعي الجزائري، حماس الجماهير. «وظهرت جريدة الأمة - في عرض حال جلسات المؤتمر- مناهضة لبن جلول» الصديق المخلص للوزير «مورينو»»، ولفرحات عباس «الذي كاله المؤتمر إهانة مدوية»، في حين ذكرت بكلام ابن باديس: «إن هذا الشعب الجزائري المغمور يستطيع أن يقول الآن: لقد كنت ومازلت وسأبقى شعبًا». وقد أشاد كاتب المقال بالدور الهام لمناضلي نجم شمال إفريقيا الذين أثروا رغم إقصائهم، في النقاشات.

وأشادت جريدة الأمة بفكرة المؤتمر، لكنها أشارت إلى «كم كانت كبيرة نقاط ضعفه وأخطائه الواعية وغير الواعية». وانتقدت الجريدة سوء الأشغال، وأوضحت أن دفتر المطالب لم يتم إعداده ولا قراءته ولا المصادقة عليه في المؤتمر ذاته؛ وعارضت المواد المتعلقة بالإلحاق بفرنسا وبالتمثيل النيابي. ورأت أن المطالب الأخرى كانت ضعيفة وغامضة ومن شأنها أن تفسر بصفة مغايرة؛ فالشعب الجزائري لن يقبل أبدًا بإلحاقه بفرنسا، وبإلغائه من الخارطة الجغرافية، والتنكر

لأصوله وعرقه، لوتمت استشارته بصفة ديمقراطية. وفي الخاتمة، طالبت جريدة الأمة بعقد مؤتمر آخر. وعاب الوطنيون كذلك على العلماء تزكيتهم لسياسة المنتخبين. وعبرت الجريدة عن استغرابها من رؤية خيار أخيار المسلمين يقبلون الالتحاق «بأولئك الذين ينفون وجود أمة جزائرية» و«بأنصار الاندماج الذين يحلمون بالفرنسية ويتطلعون بشغف إلى فرنسة الجزائر».

كثف نجم شمال إفريقيا من دعايته، واقترح على الشعب الجزائري الاختيار بين دفتري المطالب المقدمين إلى وزير الداخلية، واحد من قبل وفد المؤتمر، والآخر من قبل نجم شمال إفريقيا. وتم توزيع مناشير عديدة، في الناحية الباريسية، بعضها يؤكد أن نجم شمال إفريقيا يساند المطالب الفورية التي أعدها المؤتمر الإسلامي، وبعضها الآخر يشجب التمثيل النيابي والحاق الجزائر بفرنسا. وقدم من الجزائر وفد من بين أعضائه الشيخ ابن باديس والطيب العقبي من جمعية العلماء، وبن جلول وفرحات عباس وسعدان ولخذاري، من المنتخبين المسلمين، و«فرتشوخ» من الحزب الشيوعي، وطاهرات من جريدة «لافواديامبل» (La Voix des humbles). والتقى الوفد بممثلين عن نجم شمال إفريقيا، وهم مصالي وبنون وجيلاني، ليضعوا معهم برنامج مطالب مشترك. وكان النقاش طويل: قبل انتهاء النقاش، توجه وفد الجزائر إلى وزارة الداخلية حيث قدم للسلطات الفرنسية برنامج مطالب يسير في اتجاه الإلحاق بفرنسا. ودعا مندوبونجم شمال إفريقيا الذين لم يكونوا على علم بذلك المسعى ممثلي الجزائر إلى استئناف الاتصال معهم. ولم يستجب إلا الشيخ ابن باديس وفرحات عباس وطهرات لدعوة مصالي والعيمش وبنون وجيلاني. ودار النقاش حول الدلالة السياسية للإلحاق. ورأى قادة نجم شمال إفريقيا إنه خطير ومضر بمصالح الأمة الجزائرية. وأكد ممثلوالمنتخبين بأن ذلك الحل هوالوسيلة الوحيدة للاستفادة من الحقوق المضمونة للفرنسيين. ووحده الشيخ ابن باديس بدا مقتنعا بحجة مناضلي نجم شمال إفريقيا[28]. ولم يكن المنتخبون مستعدين بعدُ لتقبل الحركة الوطنية والدفاع عن أطروحة الاستقلال.

كشف حينذاك نجم شمال إفريقيا من حملته ضد سياسة المؤتمر الداعية إلى الإلحاق. ففي 25 جويلية 1936، استمع أربعة آلاف مسلم في قاعة «فرانع أوبال»، وفي 31 جويلية، ستة آلاف في قصر التعاضدية إلى زعماء نجم شمال إفريقيا ينتقدون التحضير المتسرع للمؤتمر، ومدته القصيرة جداً، وموقف الوفد القادم إلى باريس. وختم مصالي خطابه بهذا التصريح: «إننا نعلن رغم ذلك أننا موافقون على كل البنود الأخرى من الميثاق المذكور ونؤكد على رغبتنا في رؤيتها تتحقق وتطبق بسرعة، إلى غاية تحقيق تلك التي تعتبر تافهة وجد ضعيفة. لكننا نصرح بأعلى الصوت بأننا نرفض إلحاق الجزائر بفرنسا وننبذه بكل قوانا. ونصرح إنه عوض التمثيل النيابي في باريس الذي لن يكون ذا فعالية، يقام برلمان في الجزائر يتم انتخابه عن طريق الاقتراع العام دون تمييز عرقي أوديني[29]».

كان نجم شمال إفريقيا الوحيد الذي يجرؤ على التعبير بلهجة منطقية مع اتخاذ موقف مناهض للإمبريالية. وقد حرصت اللجنة المديرة لنجم شمال إفريقيا على تذكير جريدة «لوفر» (L'Oeuvre)، التي اتهمته بالعمالة لأمم أجنبية، بموقفه:

- المؤاخاة مع العمال الفرنسيين في الكفاح من أجل السلم والخير والحرية.
- الاستقلال المطلق تجاه الأمتين الأجنبيتين، ألمانيا وروسيا.
- العمل على كسب صداقة ودعم الشعب الفرنسي ودعمه.
- الرفض الصريح لكل أعمال العنف مهما كان مصدرها.
- التضامن مع الأحزاب الحكومية.
- الكفاح ضد الفاشي بن جلول[30]».

وفي نادي «فوبورغ»، صرح الدكتور بن سليمان، وهويقدم حزبه، بأن «نجم شمال إفريقيا ليس حزبًا مناهضًا لليهود، ولا مناهضًا للاستعمار ولا مناهضًا للإمبريالية. فهومن أجل التحرر الوطني، واستقلال الجزائر، لأن الجزائر ليست فرنسية[31]». وطالب بن سليمان كذلك باستقلال باقي بلدان المغرب وشجب سياسة المؤتمر: «كلا، نحن لسنا متفقين مع أغلبية المؤتمر

الإسلامي حول إلحاق الجزائر بفرنسا، ولا التمثيل النيابي[32]» وقد حدد جدول الأعمال المصادق عليه مايلي: «إننا نصرح بأعلى الصوت بأننا نرفض إلحاق الجزائر بفرنسا ونتبذه بكل قوانا».

كانت أحزاب اليمين تعترف بأن نجم شمال إفريقيا كان الوحيد الذي يعكس الفكر العميق للمسلمين: «الوحيد مصالي من نجم شمال إفريقيا يعبر عن الفكر العميق لكل المسلمين، وهوالوحيد الذي طرح التطلعات المشوشة لشعب هومنه ويعرفه على الصعيد الواقعي، وإني إذ أقول بأنني أفهم مصالي، فإني أرجوأن لا يقال إنني أوافقه: أن ما يمكن أن يكون مشتركا بين صحافة نجم شمال إفريقيا وصحافتي يكمن في كون هذه المنظمة الوطنية بجلاء ترفض مبدأ الاندماج[33]».

لم يمنع مطلب الاستقلال نجم شمال إفريقيا من الاحتجاج مثل كل الأحزاب الأخرى على تباطؤ الجبهة الشعبية، ومن التأكيد على ذلك في مختلف اجتماعاته[34]. ولم يُرد نجم شمال إفريقيا قطع علاقته بالجبهة الشعبية، بل نبهها إلى الضرورة الاستعجالية للوضع في الجزائر.

II - نجم شمال إفريقيا في الجزائر: العمل في وضح النّهار

1. الدّخول المثير لمصالي إلى الجزائر:

وصل مصالي الّذي أطلق صراحه في شهر ماي، في إطار إجراءات العفو الّتي اتخذها الوزير «ألبيرسارو» - إلى مدينة الجزائر في 02 اوت، مع وفد المؤتمر في الوقت نفسه. فقد أخذ جميعهم الباخرة نفسها. وكان زعيم نجم شمال إفريقيا في الدرجة الرابعة، بينما كان ممثلوالمؤتمر في الدرجة الأولى. لقد وعد مصالي أعضاء الوفد، الذين كان قد التقاهم في باريس والذين آخذوا عليه التعبير بلهجة متطرفة في العاصمة الفرنسية بعيدا عن صرامة الإدارة الاستعمارية... وعدهم بالمجيء إلى الجزائر لعرض البرنامج ذاته، وقد وفى وعده. وفي اليوم نفسه، ألقى مصالي- بالملعب البلدي للعاصمة، خطابا كبيرا. فبعد

الإسلامي حول إلحاق الجزائر بفرنسا، ولا التمثيل النيابي[32].» وقد حدد جدول الأعمال المصادق عليه مايلي: «إننا نصرح بأعلى الصوت بأننا نرفض إلحاق الجزائر بفرنسا ونبذه بكل قوانا».

كانت أحزاب اليمين تعترف بأن نجم شمال إفريقيا كان الوحيد الذي يعكس الفكر العميق للمسلمين: «الوحيد مصالي من نجم شمال إفريقيا يعبر عن الفكر العميق لكل المسلمين، وهوالوحيد الذي طرح التطلعات المشوشة لشعب هومنه ويعرفه على الصعيد الواقعي. وإني إذ أقول بأنني أفهم مصالي، فإني أرجوأن لا يقال إنني أوافقه: أن ما يمكن أن يكون مشتركًا بين صحافة نجم شمال إفريقيا وصحافتي يكمن في كون هذه المنظمة الوطنية بجلاء ترفض مبدأ الاندماج[33]».

لم يمنع مطلب الاستقلال نجم شمال إفريقيا من الاحتجاج مثل كل الأحزاب الأخرى على تباطؤ الجبهة الشعبية، ومن التأكيد على ذلك في مختلف اجتماعاته[34]. ولم يُرد نجم شمال إفريقيا قطع علاقته بالجبهة الشعبية، بل نبهها إلى الضرورة الاستعجالية للوضع في الجزائر.

II. نجم شمال إفريقيا في الجزائر: العمل في وضح النّهار

1. الدّخول المثير لمصالي إلى الجزائر:

وصل مصالي الّذي أطلق صراحه في شهر ماي، في إطار إجراءات العفو الّتي اتخذها الوزير «ألبيرسارو» - إلى مدينة الجزائر في 02 أوت، مع وفد المؤتمر في الوقت نفسه. فقد أخذ جميعهم الباخرة نفسها. وكان زعيم نجم شمال إفريقيا في الدرجة الرابعة، بينما كان ممثلوالمؤتمر في الدرجة الأولى. لقد وعد مصالي أعضاء الوفد، الذين كان قد التقاهم في باريس والذين آخذوا عليه التعبير بلهجة متطرفة في العاصمة الفرنسية بعيدا عن صرامة الإدارة الاستعمارية... وعدهم بالمجيء إلى الجزائر لعرض البرنامج ذاته، وقد وفى وعده. وفي اليوم نفسه، ألقى مصالي- بالملعب البلدي للعاصمة، خطابا كبيرا. فبعد

تحية الحضور باللغة العربية، قدم مصالي بالفرنسية مسار نجم شمال إفريقيا، وأوضح سياسة منظمته. وشجب بعنف إلحاق الجزائر بفرنسا، وطالب بقوة ببرلمان وطني جزائري. لقد دعا الجزائريين إلى اليقظة، وإلى الالتفاف حول نجم شمال إفريقيا، منظمتهم الوطنية... سجل هذا الخطاب، الذي حياه الحضور بحرارة الدخول المثير لنجم شمال إفريقيا في الحياة السياسية الجزائرية. وقد وقع قادة المؤتمر في حرج من أمرهم، وكان الطيب العقبي الوحيد الذي انتقد هذا الخطاب الذي وصفه رئيس بلدية الجزائر «روزيس» بأنه أكبر خطاب معادٍ لفرنسا نسمعه في الجزائر، كون مصالي «قد طالب، أمام أكثر من ثمانية آلاف شخص بإقامة أمة جزائرية مسلمة».

بدأ نجم شمال إفريقيا يقوم بنشاطه في الجزائر في وضح النهار. وكانت هناك مناشير تعلن عن تكوين «حزب دستوري وطني جزائري». وقد وُزّع أحد تلك المناشير في أوت 1936 ويقول: « يفرض حزب دستوري وطني جزائري، يكون قاعدة لتطلعاتنا المشروعة، نفسه أكثر من أي وقت مضى لتمثيل الشعب الجزائري المسلم أمام الحكومة الفرنسية المقبلة، طبقا لمعاهدة قصر الباي، الموقع عليها في برج حميدوسنة 1930 من قبل العماد «لويس دي بورمون» و«حسن باشا». وكان نجم شمال إفريقيا بذلك يفكر في عمل شبيه بعمل حزب الدستور التونسي.

2. إعادة تنظيم الحزب:

بعد خروج نجم شمال إفريقيا من السرية، كان على مصالي إعادة تنظيم حزبه. فتم تأسيس لجنة مركزية يترأسها مصالي ويساعده زكريا ومسطول أمينين[36]. وعهد مصالي بالجهاز إلى شبان دائمين؛ فقد كان يلزم ثوريون محترفون أن كانت هناك رغبة في الإعداد للثورة[37]. وتوسعت سلطة اللجنة المركزية لتشمل كامل التراب الجزائري، فقام مصالي بتنظيم الاتحادات؛ وكان المسؤولون يأتون للقائه من تلمسان وقسنطينة... وكان الحزب يتوافر في مدينة الجزائر على مقر رسمي بشارع «دوكين» في حي «لامارين»؛

وكان الشبان يشكلون طوابير أمامه للانخراط. وقرر مصالي القيام بجولة إلى وهران وقسنطينة، وكان يُستقبل بحرارة في كل مكان ذهب إليه. وكان قائد نجم شمال إفريقيا ينتهز تلك المناسبات لتنظيم اجتماعات للإطارات ولهيكلة الحزب جيداً. وقد حددت مصالح الاستعلامات للحكومة العامة في تقريرها، الخطوط العريضة لمنظمة شمال إفريقيا: فرع مركزي في مدينة الجزائر، كانت سلطته تشمل كامل شمال إفريقيا، وفرع في كل من البلديات التالية: الحراش، برج الكيفان، بوفاريك، البليدة، وهران، مستغانم، سيدي بلعباس، تلمسان، قسنطينة، عنابة، جيجل، سطيف. وهناك فروع أخرى كانت في طور التأسيس، خاصة في تيزي[38]. كان لنجم شمال إفريقيا عند حله في جانفي 1937، أي بعد عام من قدوم مصالي إلى الجزائر ثلاثون فرعاً موجودا ومشروع إنشاء 31 فرعًا آخر[39]».

كان مصالي - أثناء تلك الاجتماعات العديدة- يعمل على المصادقة على عرائض تندد بالنظام الاستعماري[40]، لكن مع ممارسة نشاطه في وضح النهار، ولم يفقد الحزب جانبه الغامض والسري. وقد اضطره إلى ذلك الإدارة الاستعمارية وشرطتها، اللتان جعلتا الحياة مستحيلة لكل عامل مناضل أومتعاطف. وهكذا ولدت أسطورة حقيقية: أسطورة الحزب والزعيم والجهاد. وقد كان الحزب يمتلك بطاقات[41]، وله قواعد ومراسيم؛ فكانت الاجتماعات تبدأ بنشيد الحزب، الذي يتم إنشاده والاستماع إليه بكل خشوع، مع السبابة مرفوعة إلى السماء[42]، فكانت رمزية الشهادة[43] تتداخل مع رمزية الحزب. وقد كان للوطن والإسلام المعنى نفسه، وكانا يحكمان الواجب نفسه: الكفاح ضد المحتل.

بالنسبة لنجم شمال إفريقيا، لم يكن هناك حل آخر غير الحرب مع فروعه[44]. فقد كان نجم شمال إفريقيا الوحيد الذي طرح القضية الوطنية، وكان واعيا بذلك.

تم توجيه وثيقة كبيرة في شكل نشرة إلى الشعب في نوفمبر 1936 من قبل مصالي[45]. وقد ذكّر رئيس نجم شمال إفريقيا، الذي استخلص الدروس من جولته في الجزائر - بثبات الحزب. فكان يبرهن، باستعمال الآيات القرآنية- على صحة مبادئ حزبه، ويندد بسياسة الاندماج والإلحاق. وكان المنتخبون وأعضاء المؤتمر عرضة للإدانة القوية في نظر الرأي العام الجزائري والعربي. وكان مصالي يذكّر بأن هدف الحزب يبقى الاستقلال. وفي الخاتمة، طالب الشبيبة الجزائرية بتنظيم نفسها وراء «الحزب الوطني وجيشه».

كان مصالي يلح على توضيح هذه الرسالة بنفسه أثناء التجمعات العديدة التي عقدت بالجزائر. وهكذا أبرز خلال تجمع عقده بتلمسان في 04-11- 1936، الخصوصية الفريدة والسباقة لبرنامج نجم شمال إفريقيا: «إننا نطالب بالحصول على الحريات الديمقراطية، ونريد تشكيل برلمان جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام، لكننا بالطبع نريد الوصول إلى هذه الأهداف بفضل التعاون الوثيق بين الجزائريين والفرنسيين[...] نحن نعمل، وننظر إلى المستقبل المنطقي للجزائر ليتمكن الشعب الجزائري من المشاركة في الإدارة الاقتصادية والسياسية والإدارية لبلده، وحينها يجد اليهودي والجزائري والفرنسي أنفسهم على قدر من المساواة[46].» وقد حجبت الطموحات الوطنية المطالب الاجتماعية، «إن الاستقلال وحده يستطيع تحقيق المساواة السياسية والعدالة الاجتماعية في الوقت نفسه.»

III. عزلة نجم شمال إفريقيا:

لقد تسبب تشدد نجم شمال إفريقيا - الذي لم يكن يهادن المنظمات والشخصيات السياسية التي انضمت إلى برنامج المؤتمر- في إفقاده حياد الإصلاحيين.

ففي 1935 وبداية 1936، كان المنتخبون والمعتدلون يعتقدون إنه بإمكانهم جعل نجم شمال إفريقيا يتعاون معهم. وكانت جريدة «لاديفانس»

تعتبر الحزب الوطني جمعية لعمال شمال إفريقيا قريبة من الحزب الشيوعي الفرنسي. وكان يتم تقديم مصالي الحاج على أنه: «إنسان من شمال إفريقيا يكافح في فرنسا من أجل المصالح المادية والمعنوية لمهاجري شمال إفريقيا... وهوفوق ذلك شيوعي عربي»[47]. فقد كان نجم شمال إفريقيا إذا منظمة بعيدة ليس لها مكان في السجلات السياسية الجزائرية. ولم يكن بالإمكان إلا الندم على تصلب مطالبه وتطرفها، لكن لم يكن من المنطقي - على الصعيد الفكري، مقارعة تجمع يبحث بوسائل عمل تختلف عن وسائل المنتخبين وأنصار المؤتمر، وبلهجة تُعتبر مبالغا فيها- عن الرفع من معنويات الجزائريين[48].

1. أول المناوشات مع الإصلاحيين:

أدت انتقادات نجم شمال إفريقيا للإلحاق ولمشروع فيوليت في الأخير إلى إزعاج جمعية العلماء والمنتخبين وكل أولئك الذين كانوا يساندون سياسة المؤتمر.

أراد نجم شمال إفريقيا مهادنة العلماء الذين كانت مجهوداتهم لصالح اللغة العربية والعروبة والإسلام من شأنها أن تساعد كثيرا وطنيته السياسية. وقد أوضح عدة مرات موقفه تجاههم. وفي جوان 1936، اتصل مصالي - في مدينة الجزائر- بالشيخ ابن باديس. وقد حضر اللقاء الشيوخ البشير الإبراهيمي والعقبي ومسطول. ولم يكن بوسع العلماء إلا الانصياع للمطلب الوطني؛ فقد قال ابن باديس في الختام لمصالي: «إنك على الطريق الصحيح، وعلى العلماء أن يتخذوا - فيما يخصهم- بعض الاحتياطات، مع البقاء في إطار الدين[49].»

وذكّر نجم شمال إفريقيا بأنه عبر دائما عن احترامه لممثلي الإسلام واللغة العربية، (كان وفد من نجم شمال إفريقيا قد وجه التهنئة إلى العلماء أثناء تنقلهم إلى باريس في جويلية 1936، واحتج على اعتقال الشيخ العقبي)، لكنه تمسك بالتأكيد على حقه في إدانة الاندماج والإلحاق[50]، والدفاع عن نفسه عند تعرضه للهجوم[51]. وقد أوضح الأمين العام لنجم شمال إفريقيا: «ليس هناك من شيء يجعلنا نناهض العلماء، بل بالعكس نحن مسرورون للعمل الذي قاموا

به لصالح اللغة العربية والدين، لكنه من حقنا انتقادهم في المجال السياسي[52]، كان نجم شمال إفريقيا يبحث عن استمالة العلماء لصالح سياسته والضغط عليهم لنبذ مشروع فيوليت، وذلك بدعوتهم إلى تحمل مسؤولياتهم أمام التاريخ وأمام الإسلام.

لم يوقف نجم شمال إفريقيا انتقاداته لأنصار مشروع فيوليت: فقد كان العيمش عمر - وهومجادل لامع من الحزب الوطني- يعتبر المشروع مرحلة ثالثة للإمبريالية الفرنسية التي بدأت، بعد أن غزت أرض الجزائريين وأجسادهم وغزت عقولهم وقلوبهم وأرواحهم. وكان يرى أن رتبة «جزائري» كافية بالنسبة للمسلمين وتسمح لهم بالحصول على حقوق الفرنسيين نفسها[54]. ونَدّد بالمثقفين والعلماء على السواء: المثقفون لأنهم تخلوا عن الكفاح، وتركوا الجماهير ضحية لمصيرها اليائس، حين قبلوا بأن «تحل كلمة الاندماج محل كلمة التطور»، ولأنهم رهنوا إعطاء الحريات «بالتخلي عن الجنسية لصالح جنسية جديدة[54]»، أما العلماء فلأنهم زكوا مشروع فيوليت: «يلزم رجال يتمتعون بثقة الجماهير ليكونوا في الواجهة. وقد وجدنا علماء كانت الإمبريالية تريد رشوتهم بأي ثمن. وقد وقع علماؤنا في الفخ، وكسبت القضية بفضل مؤتمر الجزائر لشهر جوان 1936، حيث كان الشعب يظن إنه يطالب بحقوق، لكن كان أصحاب الكواليس يرهنون مستقبله ومستقبل البلاد[55]».

إلى غاية بداية 1936، لم تتأخر جرائد المنتخبين والعلماء، مع بقائهم متحفظين على المضمون وعلى الحق المقترح من قبل النجم عن الحديث عن القمع الذي كان مسلطا على قادة تلك المنظمة. ففي سنة 1935، استعرضت جريدة «لاديفانس» إدانة مصالي وصعوبات نجم شمال إفريقيا[56]. وقد عذرت اللهجة العنيفة لجريدة الأمة، التي لم تكن تماري في قول الحقيقة، وكانت تدافع حتى على برنامج الوطنيين، الذي «كان خاليا ممّا لا يطابق تماما المبادئ والأفكار التي غرستها فرنسا ونمّتها في جميع أبنائها[58]». ونشرت كذلك

إعلاناتهم، مثل جدول الأعمال المصادق عليه خلال اجتماع عقد بباريس في 1936/11/10 والذي طالب بإلغاء قانون نظام الأهالي وتطبيق الحريات الديمقراطية والقوانين الاجتماعية واحترام العبادات وإلغاء المندوبيات المالية وإنشاء برلمان وطني جزائري ينتخب عن طريق الاقتراع العام دون تمييز عرقي أوديني، والذي كان ينبذ بكل قوة وحرارة مشروع فيوليت، الذي يعد بمثابة أداة الفرقة والصراعات الداخلية بين الإخوة. ولم يرد العمودي الشك في صدق قادة النجم، فما بالك بالمناضلين، وكان دائما يكرر لهم النصيحة التالية: «راجعوا صيغكم، وغيروا تكتيككم[59].»

لكن أنصار المؤتمر لم يتقبلوا رؤية نجم شمال إفريقيا يواصل إظهار «تشدد غريب تجاه كل التيارات المعتدلة ويريد ممارسة ديكتاتورية روحية حقيقية على السواد الأعظم من الشعب الجزائري الذي لم ينبثق عنه إلا المؤتمر وحده». ولما كانوا يعتقدون بأن عهد الطوباوية قد ولّى، فإنهم لم يريدوا أن يتهموا بالخيانة ويكونوا مدعاة للتهكم والقدح. فقد وجهوا إنذارا لمصالي، «الشاة الشاذة التي تنساق للاندفاعات بسهولة كبيرة[60].» وفي ديسمبر 1936، بدأت تطلق أول الاتهامات ضد الزعيم الوطني؛ وكانت هناك إشارة للإشاعات وتم تهديد نجم شمال إفريقيا، أن هو رفض الالتحاق بالمؤتمر واستمر في محاربته، بتصديق الإشاعات التي تتهم «مصالي بالخيانة وترى فيه عميلا مشاغبا يريد إعطاء خصومنا الفرصة والذريعة لدفن مطالبنا».

كان وطنيو نجم شمال إفريقيا، أثناء مختلف اللقاءات التي ينظمها المؤتمر يناقضون الخطباء الإصلاحيين. وقد اشتكت جريدة «لاديفونس» من رؤية «مناضلي الساعة الحادية عشرة» يعرقلون حركة أهلية حقيقية، واتهمت النجم «بالحث على فرض ديكتاتورية فكرية حقيقية على الشعب»، لكن انتقادات الإصلاحيين ظلت معتدلة؛ فكان هناك أمل في رؤية نجم شمال إفريقيا يعود إلى

جادة الصواب ويصبح أكثر حكمة. وعلى العكس من ذلك، فقد كانت القطيعة أكثر جلاء عن الشيوعيين.

2. القطيعة مع الشيوعيين:

منذ أن أكد نجم شمال إفريقيا عن استقلاله التنظيمي، لم يعد الشيوعيون ينظرون بعين الرضا إلى حزب وطني جزائري. فقد اتهموا النجم بالإصغاء كثيرا إلى تعليمات شكيب أرسلان[62]. ولم تدع جريدة الأمة - في الواقع - مرور فرصة الإشادة بزعيم القومية العربية، لنشاطه ضد تعسف وتجاوزات السياسة الاستعمارية لفرنسا وإنجلترا[63].

لم تكن القومية العربية والأمة الإسلامية اللتان كانتا حينها تغذيان فكر نجم شمال إفريقيا، لتعجب الشيوعيين الذين قاموا منذ التوقيع على اتفاق «لافال ستالين»[64] واستنتاج الجبهة الشعبية في المستعمرات على تقديم القضية الوطنية كقضية ثانوية. وازدادت القطيعة بين الشيوعيين ونجم شمال إفريقيا أثناء مختلف التجمعات المنعقدة خلال صيف 1936. فقد اصطدم المناضلون الوطنيون بمناضلي الجبهة الشعبية، ولاسيما بالشيوعيين. وقد كانت خيبة الوطنيين في الشيوعيين لاسيما وأن هؤلاء كانوا إلى ذلك الوقت، من كل تجمعات اليسار «الوحيدين الذين يفهمون تشدد قادة نجم شمال إفريقيا، أي استحالة دمج جيشين مختلفين في مزاجهما وفي ماضيهما وفي تقاليدهما وفي عقيدتهما[65].» وأراد قادة النجم إطلاق حملة شرح حقيقية حول ضرورة أرضية الاستقلال. فكان يلزم إذا مسؤولون يتمتعون بالحد الأدنى من التكوين النظري.

وهكذا تقرر في الجمعية العامة المنعقدة في فرنسا، عند عودة مصالي من الجزائر، وباقتراح من راجف عدم انتخاب وعدم الإبقاء في اللجنة المركزية، إلا على المناضلين الذين يعرفون القراءة والكتابة. وهكذا لم يعد بنون وعبد القادر بن مسعود ينتميان إلى اللجنة المركزية. لقد كان نجم شمال إفريقيا يريد قادة قادرين على التحاور مع ممثلي المنظمات الأخرى وفهم المشاكل النظرية. وقد كانت مهمة

القادة صعبة: كان يجب عليهم أن يشرحوا للمناضلين صحة التحليل السياسي لنجم شمال إفريقيا وإقناع منظمات الجبهة الشعبية بمناهضتهم للعنصرية. وهكذا ضاعف الحزب من اجتماعاته واتصالاته مع قادة اليسار الفرنسي. لكن شعار الاستقلال الذي نشره ودافع عنه نجم شمال إفريقيا على صعيد واسع جدا لم يعجب الحزب الشيوعي الذي كان يرى في ذلك إضرارا بالبرنامج المشترك الذي أعدته الجبهة الشعبية والبرنامج الذي يدافع عنه المؤتمر الإسلامي.

تفاقم الصراع بين الشيوعيين ومناضلي نجم شمال إفريقيا فيما يتعلق بالحرب الأهلية الإسبانية. فقد أكد نجم شمال إفريقيا على مناهضته للفاشية الإسبانية. وذهبت جريدة الأمة إلى حد نشر برقية تهنئة لرئاسة الجمهورية الإسبانية: «إن فخامة رئيس الجمهورية، وبعد تلقيه رسالتكم ليوم 10 من الشهر الجاري قد كلفني بأن أنقل لكم عبر هذه الرسالة تشكراته الخالصة لتضامنكم مع الشعب الإسباني الشجاع الذي يكافح ببطولة من أجل الدفاع عن الحرية والديمقراطية».

وردًا على جرائد اليمين «لوفيغارو» و«كانديد» و«جوسوي بارتو» و«لاليبارتي» و«لوجور» التي كان يخيفها الدعم المحتمل لحوالي 600.000 شخص من شمال إفريقيا منطوين تحت لواء نجم شمال إفريقيا، ومن شأنهم تقديمه للحزب الشيوعي، أوضحت جريدة الأمة بأن توجهات النجم كانت قريبة من توجهات الجبهة الشعبية. لكنها أضافت تخاطب أحزاب اليمين: «إن النجم ليس منتسبا لأي حزب، ولن نكون أداة في يد أي حزب، فأجسادنا ليست للبيع مثلها مثل أرواحنا. وإذا كان لا بد وأن نموت يوما، فاعلموا جيدا يا سادة، إنه لن يكون ذلك من أجل قضيتكم، ولن يكون ذلك أيضا من أجل مثل غير مثلنا».

لم يكن الشيوعيون مشغولين إلا بتجنيد عمال شمال إفريقيا إلى جانب الجمهوريين الإسبان. ولم يكن الوطنيون يريدون العمل مرتزقة لصالح الجبهة الشعبية التي لم يكن رجالها يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة والمخاطر التي من شأنها تهديدهم. وقد كان الوطنيون يريدون الكفاح، لكن قبل كل شيء من

القادة صعبة: كان يجب عليهم أن يشرحوا للمناضلين صحة التحليل السياسي لنجم شمال إفريقيا وإقناع منظمات الجبهة الشعبية بمناهضتهم للعنصرية. وهكذا ضاعف الحزب من اجتماعاته واتصالاته مع قادة اليسار الفرنسي. لكن شعار الاستقلال الذي نشره ودافع عنه نجم شمال إفريقيا على صعيد واسع جدا لم يعجب الحزب الشيوعي الذي كان يرى في ذلك إضرارا بالبرنامج المشترك الذي أعدته الجبهة الشعبية والبرنامج الذي يدافع عنه المؤتمر الإسلامي.

تفاقم الصراع بين الشيوعيين ومناضلي نجم شمال إفريقيا فيما يتعلق بالحرب الأهلية الإسبانية. فقد أكد نجم شمال إفريقيا على مناهضته للفاشية الإسبانية. وذهبت جريدة الأمة إلى حد نشر برقية تهنئة لرئاسة الجمهورية الإسبانية: «إن فخامة رئيس الجمهورية، وبعد تلقيه رسالتكم ليوم 10 من الشهر الجاري قد كلفني بأن أنقل لكم عبر هذه الرسالة تشكراته الخالصة لتضامنكم مع الشعب الإسباني الشجاع الذي يكافح ببطولة من أجل الدفاع عن الحرية والديمقراطية».

وردًا على جرائد اليمين «لوفيغارو» و«كانديد» و«جوسوي بارتو» و«لاليبارتي» و«لوجور» التي كان يخيفها الدعم المحتمل لحوالي 600.000 شخص من شمال إفريقيا منطوين تحت لواء نجم شمال إفريقيا، ومن شأنهم تقديمه للحزب الشيوعي، أوضحت جريدة الأمة بأن توجهات النجم كانت قريبة من توجهات الجبهة الشعبية. لكنها أضافت تخاطب أحزاب اليمين: «إن النجم ليس منتسبا لأي حزب، ولن نكون أداة في يد أي حزب، فأجسادنا ليست للبيع مثلها مثل أرواحنا. وإذا كان لا بد وأن نموت يوما، فاعلموا جيدا يا سادة، إنه لن يكون ذلك من أجل قضيتكم، ولن يكون ذلك أيضا من أجل مثل غير مثلنا».

لم يكن الشيوعيون مشغولين إلا بتجنيد عمال شمال إفريقيا إلى جانب الجمهوريين الإسبان. ولم يكن الوطنيون يريدون العمل مرتزقة لصالح الجبهة الشعبية التي لم يكن رجالها يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة والمخاطر التي من شأنها تهديدهم. وقد كان الوطنيون يريدون الكفاح، لكن قبل كل شيء من

اجل حقوق الجزائريين: «يجب ان يعلم الجميع باننا لا نريد ان نظل مغفلين إلى الأبد! فقد اكتوينا بنار حرب 1914 بما فيه الكفاية! يجب أن يعلم الجميع باننا لسنا مرتزقة مجاملين. وإذا كان علينا القتال، فإننا نريد أن نعرف لماذا؟ ولصالح من نقاتل؟! إننا نطرح السؤال، ويجب أن يعطى لنا جواب. وذلك بأفعال وليس بالوعود. فحياة الجزائريين ليست أهون من حياة غيرهم! وإذا كان عليهم التضحية بها، فإنهم يريدون معرفة لماذا ولصالح من». وقد طالب النجم دون جدوى باستقلال المغرب الإسباني وإطلاق صراح عبد الكريم[68].

وهكذا خلق الشيوعيون كل أنواع الصعوبات للوطنيين: رفض إعارتهم القاعات، وطردهم من المقرات، وترهيب العمال الجزائريين من قبل الفروع النقابية... وقد أوضحت جريدة «لاناسيون أراب» بأنه لم يكن هناك تشابه بين نشاط مغاربة الريف والنشاط الذي يراد إقحام الجزائريين فيه. فقد تلقى المغاربة وعودا بالحكم الذاتي من قبل الوطنيين الإسبان، بينما أحجم الجمهوريون الإسبان عن الوعد بأي شيء. وقد حذرت الجريدة الشيوعيين وذكرتهم: «إن التعدي على مكاتب نجم شمال إفريقيا الذي يشبه احتلال المصانع التي كانت عرضة لتلاعبات كثيرة يعد عملا غير قانوني، وليس من شأنه أن يجعل المسلمين يتعاطفون مع الشيوعيين الفرنسيين... فالعمال المسلمون الجزائريون - على حد علمنا - ليسوا شيوعيين، إنهم مسلمون قبل كل شيء.

«كان على الشيوعيين الفرنسيين - قبل المجيء لتجنيد العمال الجزائريين في الجيش الحكومي لمدريد - أن يتجندوا هم أنفسهم في ذلك الجيش؛ فقد يشفع ذلك لهم[69].» وقد هاجمت جريدة «لاليت صوصيال»[70]، آخذة في الحسبان الانتقاد الوطني بعنف شكيب أرسلان الداعم لفرانكو، وأعادت نشر تصريح قدمه في باريس سفير إسبانيا: «إن (ألفرنتي بوبولار) (الجبهة الشعبية) مستعدة للاعتراف باستقلال المغرب الإسباني»؛ لكن لم يُتبع ذلك التصريح بأية خطوة أخرى، وهكذا كانت القطيعة بين الشيوعيين ونجم شمال إفريقيا.

IV. حل نجم شمال إفريقيا:

منذ قانون 10- 01- 1936، كان لرئيس الجمهورية وحده سلطة اتخاذ قرار، بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء، حل جمعية تمس بوحدة التراب الوطني. وفي نهاية العام، كانت تسري إشاعات حول نية الحكومة المحتملة لتستعمل ضد نجم شمال إفريقيا[71] المرسوم الذي يسمح بحل الجمعيات الفاشية. وقد أشارت جريدة «لوبوبيلير»[72] بأن العديد من العمال الفرنسيين وعمال شمال إفريقيا قد اجتمعوا في 09 جانفي في «إيسي لي مولينو» استجابة لنداء اللجنة المحلية للجبهة الشعبية للاحتجاج على متابعة نجم شمال إفريقيا من أجل حله. وقد كان التهديد حقيقيا. وهكذا - وبطلب من الحاكم العام- تم حل نجم شمال إفريقيا في 26- 01- 1937[73].

لقد تخلص مناضلو الجبهة الشعبية وأنصار المؤتمر من منظمة وطنية مشاغبة وتسير عكس مسعى سياسة الاندماج المعتدلة. ونفهم بسهولة أن المؤتمر الإسلامي لم ينطق ببنت شفة فيما يخص حل نجم شمال إفريقيا، لاسيما وأنه في اليوم الذي وُقّع فيه المرسوم، كان مناضلو النجم ينتقدون -وبعنف- لجنة المؤتمر لمدينة الجزائر.

1. اتهامات نجم شمال إفريقيا:

حمل الوطنيون الشيوعيين مسؤولية القمع المسلط عليهم. ففي 24- 01- 1937، اتهمت جريدة «لاومانيتي» «قادة نجم شمال إفريقيا، باتخاذ نفس مواقف كبار معمري صلبان النار والفاشيين»، ضد مشروع فيوليت. وفي 29 جانفي، وأثناء نقاش في مجلس الشيوخ أوضح «راوول أوبو» بأن قرار الحل كان قد اتخذ في الوقت الذي كان فيه نجم شمال إفريقيا منبوذا من قبل الجماهير المسلمة، وأيضا من قبل الحزب الشيوعي. ثم ذكر بالأسباب التي جعلت الحكومة تتخذ ذلك القرار: النشاط الانفصالي، والنفوذ الأجنبي، ومحاولات التفرقة القادمة من الخارج. ولم يقل الأعضاء الشيوعيون في مجلس الشيوخ

شيئا»[75]. وفي 12- 02- 1937، كانت جريدة «لومانيتي» أكثر وضوحا: لقد أدان «ر. ديلوش»، محللا موقف الحزب الشيوعي الفرنسي من نجم شمال إفريقيا، تشويش أحزاب اليمين وتجمعاته التي قادت حملة كراهية تجاه الجبهة الشعبية. وقد اعترف بأن نجم شمال إفريقيا كان قد طلب منذ زمن طويل انضمامه إلى التجمع الشعبي، لكنه أشار إلى تغيير موقف قادته، والكف عن مناهضة الحزب الشيوعي والجبهة الشعبية.[76] لقد كان الحزب يستعمل تكتيكا قديماً، وهوفصل القاعدة عن قادتها من أجل إدانة السياسة الوطنية لنجم شمال إفريقيا.

لقد رأى عمر العيمش في حل نجم شمال إفريقيا تلاقي رغبتين، رغبة الحزب الشيوعي ورغبة مجموعة أحزاب الجبهة الشعبية. وقد ذكر: «لقد أراد الشيوعيون دائما الاستحواذ على الحركة الوطنية باستعمال المسلمين المنخرطين في حزبهم (قد يكون شبيلة بعد عزله، هوومن كشف المناورات الشيوعية لقادة نجم شمال إفريقيا)، ورفضوا انضمام النجم إلى مؤتمر أمستردام- بليل، وحاولوا - بعد سجن القادة الوطنيين- الاستحواذ على جريدة الأمة».[77] وعاب على الجبهة الشعبية تحالفها مع البورجوازية و'الإمبريالية، «إن تعاون قادة الأحزاب العمالية (ضمنيا مع الأحزاب البورجوازية) ليس ضمانا، بل يمثل تهديدا للعامل الكادح[78]، كما للخاضع للاستعمار». أن الجبهة الشعبية، فيما يتعلق بالاستعمار، «لا تعدوأن تكون كلمة كغيرها من الكلمات؛ فقد رفضت منح حريات لأهل الريف المغربي (وهذه إشارة إلى الجبهة الشعبية الإسبانية)، وقد قبلت بغزواثيوبيا. أن الجبهة الشعبية الفرنسية هي من حلت منظمتنا، وتمارس تكميم الأفواه. وهذا من النواميس ومن المنطق؛ لأن البورجوازية الإمبريالية هي التي تحكم دائما، سواء كان اسمها اليمين أم اليسار[79].» فالكل راضٍ عن حل نجم شمال إفريقيا، والجبهة الشعبية تكسب تعاطف الأوساط البورجوازية، والشيوعيون يعتقدون بأن المجال فسح أمامهم لاستمالة العمال المسلمين، والمنتخبون مسرورون لتخلصهم من منظمة متطرفة مناهضة للإلحاق.

كانت هناك مناشير تنعت الجبهة الشعبية بالكذابة وتتهم الشيوعيين بالتواطؤ مع الذين كانوا يهاجمون النجم[80].

2. احتجاجات النجم:

أراد مصالي حمل قضية حل نجم شمال إفريقيا إلى الشعب الفرنسي. وحدها الجرائد الجبهوية التروتسكية وبعض جرائد اليمين عارضت حل الحزب الوطني ونشرت بياناتها[81]. وفي حوار نشرته جريدة الجبهة الشعبية، كانت هناك إشارة إلى وجود إيجابيات في برنامج النجم، مع رفض الخوض في السياسة السلبية المطلقة. وحرصت جريدة «لافليش» (LA FLECHE) على التذكير ببرنامج سطره رجال عمليون وواقعيون، لم يكونوا لا حالمين ولا متنبئين[82]. وتم التذكير بالمطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية الرئيسة، دون نسيان السيادة الجزائرية التي طرحها مطلب البرلمان الجزائري المنتخب عن طريق الاقتراع العام[83]. وفي أحد أعداد جريدة الأمة، تم التذكير بأن النجم كان دائما إلى جانب منظمات اليسار[84]. وفي جريدة «لاناسيون أراب»، احتج شكيب أرسلان على حل النجم، وذكر بالتصريحات السياسية للأمة وأكد على أن الوطنيين لم يكونوا مناهضين لفرنسا. ولم ينف وجود شبان متحمسين مازالت عقولهم غير كاملة النضج بين الوطنيين، لكنه قدّر أن «صديقه» مصالي كان يتصف بالجدية والواقعية اللتين تمنعانه من الزجّ بحزبه في طريق سلبي يكون عليه كارثة لا تضاهيها كارثة. وأضاف بأن برنامجه المعروف هو أنه «يجب على الشعب الجزائري أن يظل وفيا لنفسه وأن لا ينصهر في الجنسية الفرنسية إلى حد يفقد فيه شخصيته. لكن هذا لا يعني إنه عليه الانفصال عن فرنسا».

أكد مصالي - خلال محاكمته في 1937- على جسامة الخطأ السياسي الذي ارتكبته الجبهة الشعبية: لقد صرح بأنه من الخطر أن تقوم حكومة من الجبهة الشعبية، من بين أهدافها حل المنظمات المشاغبة بتطبيق قانون موجه ضد الفرق القتالية وضد الميليشيات الخاصة على منظمة كنجم شمال إفريقيا، مكونة من رجال مناهضين للفاشية، ولم يكن لديهم قط أدنى طابع

شبه عسكري: «إنه من الخطير أن تطبق حكومة الجبهة الشعبية مرسوما أثما، وهو مرسوم زجري على مناضلين يكافحون من أجل تحسين وضعية إخوانهم. إنه من الخطر أن يتم البحث عن حل المشاكل الرهيبة المطروحة في الجزائر وفي شمال إفريقيا بصفة أعم باستعمال الإكراه القضائي والبوليسي وعن طريق الحبس، أي تكميم الأفواه»[86].

نظم قادة النجم حملة احتجاج في كامل فرنسا. وأطلق على يوم 29 جانفي اسم «يوم الاحتجاج ضد القمع الاستعماري». وفي 5 فيفري، شارك قادة النجم في اجتماع اللجنة المركزية الفرنسية للتجمع العالمي ضد الفاشية ومعاداة السامية، واحتجوا على حل حزبهم. وفي 11 جوان، هاجم العيمش، عند أخذه الكلمة خلال تجمع نظمته رابطة مسلمي شمال إفريقيا - بعنف الجبهة الشعبية، ونعت حكومة «بلوم» «بحكومة إمبريالية مثلها مثل غيرها»، ووصف الحزب الشيوعي الفرنسي «بالحزب الوطني الاستعماري». وأدان كل من مصالي والعيمش مشروع «فيوليت» «أخطر أداة للإمبريالية صنعتها الحكومة». وفي 11 فيفري، تم توجيه نداء للتونسيين والجزائريين والمغاربة - خلال اجتماع نظمه حزب الدستور الجديد في باريس على شرف الحبيب بورقيبة، يدعوهم فيه إلى مناهضة القمع الاستعماري، وطمأن الزعيم التونسي مصالي بتضامن حزبه وأكد «أن فكرة التحرر الشامل الجهوية لتونس والجزائر والمغرب، يتبعه اندماج اختياري وحر لكل من البلدان الثلاثة في نظام متوسطي على شكل اتحادي»[87].

وفي الجزائر، عقدت الاجتماعات في مدينة الجزائر ومليانة والبليدة للاحتجاج على حل النجم، ووزعت مناشير تندد بسياسة القمع للجبهة الشعبية. وتم إخبار المناضلين بالمسؤولية التي يتحملها الحزب الشيوعي[89].

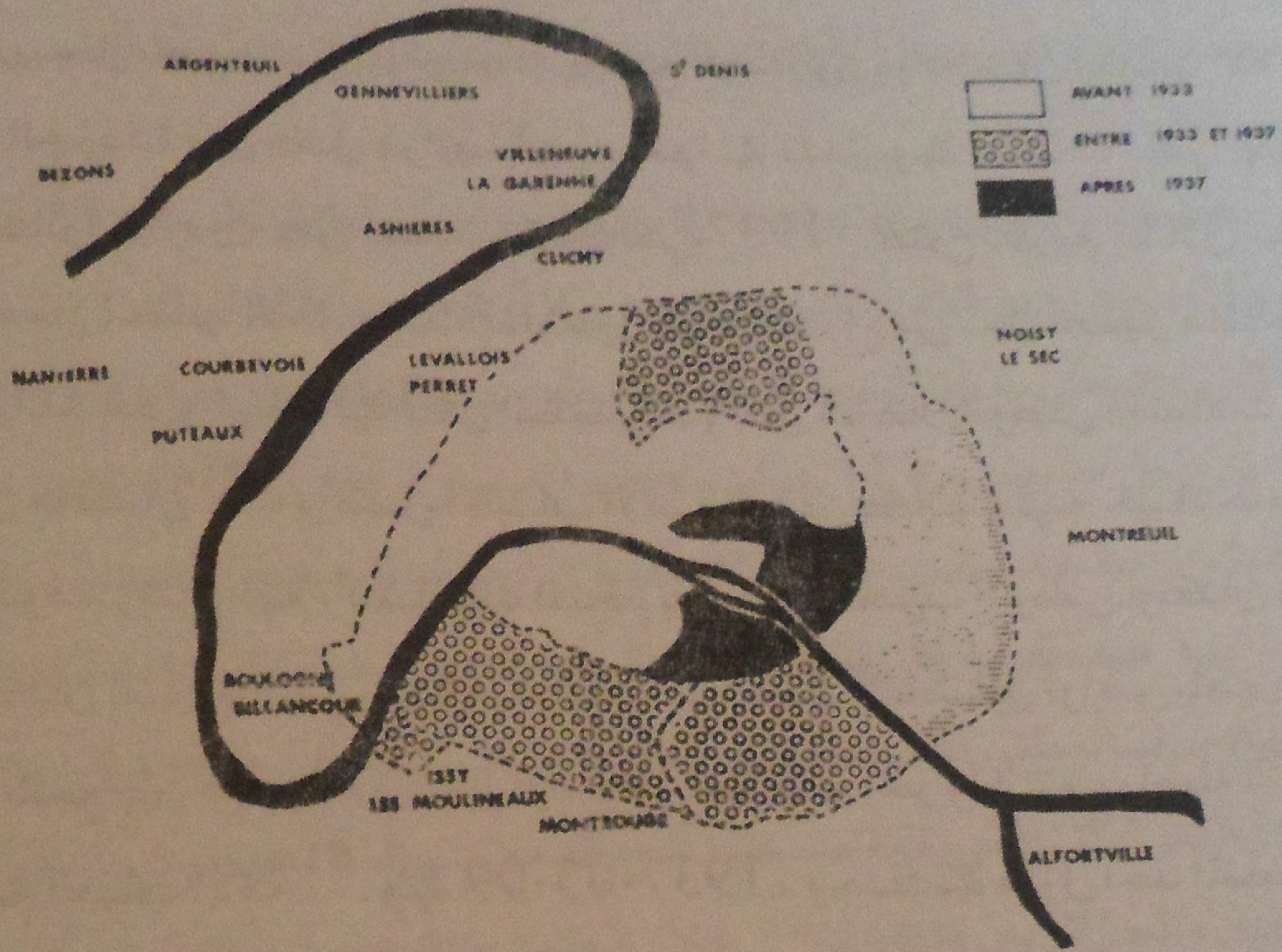
لم يمنع حل نجم شمال إفريقيا القادة والمناضلين من مواصلة نشاطهم: فقد تواصلت المنظمة الوطنية بفضل جريدة الأمة، حيث حلت لجان أحباب الأمة محل فروع النجم لكن تلك الصيغة كانت مؤقتة، وكان يجب إعادة تأسيس الحزب.

٧. تأسيس حزب الشعب الجزائري:

11 مارس 1937

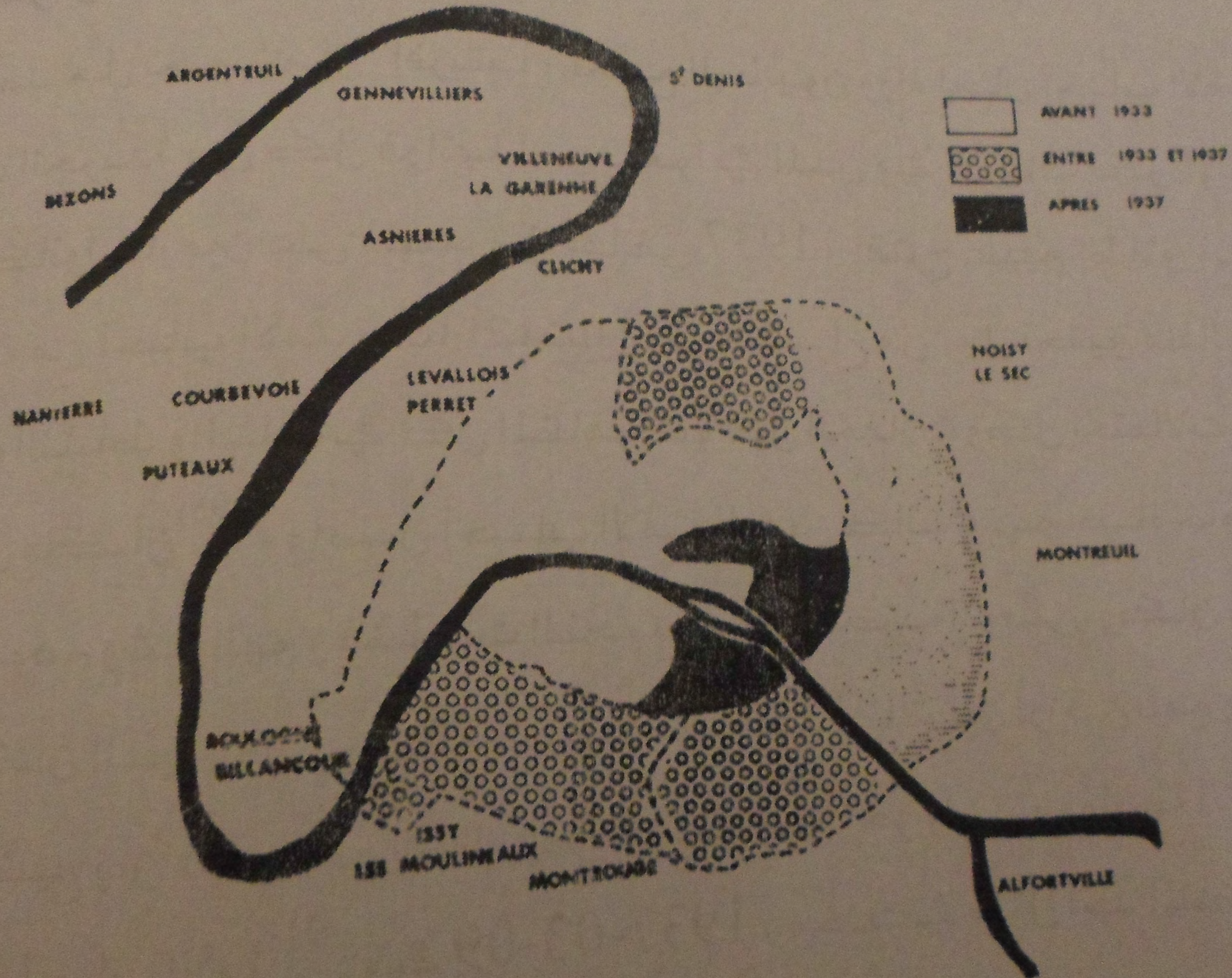
بعد حل نجم شمال إفريقيا، تجمع الوطنيون وراء لجان أحباب الأمة، وطلبت الجريدة من كل قرائها أن يجمعوا في المدن وفي الأرياف كل أولئك الذين كانوا عازمين على دعمه. وفي جانفي 1937، اقترح عليهم إطلاق مائتي مجموعة من أحباب الأمة. ودعا المناضلين إلى «الإسراع من أجل تحقيق مطالبهم، بالعمل والنشاط والهتاف في كل المظاهرات وكل الحفلات وكل احتفالات الأمة في كل مكان[98].» واصل أحباب الأمة الذين كانت لهم حياة خاصة، ومنخرطوهم وشاراتهم، نشاطات النجم بعد حل الحزب الوطني. وكان عليهم أخذ مكان النجم. ففي رسالة ضبطت عند أحد المناضلين أرزقي بلعين كان هناك توضيح بأنّ «على نجم شمال إفريقيا أخذ اسم آخر وأن تتم مواصلة الأنشطة تحت اسم أحباب الأمة[91]». وفي 09-03-1937، وجدت في منزل أحد المناضلين – قننش- رسالة مؤرخة في 05 مارس تعلن بأن الحزب سيبقى تحت اسم أحباب الأمة وأن توزيع الجريدة سيتواصل وإن كان أصعب من السابق.

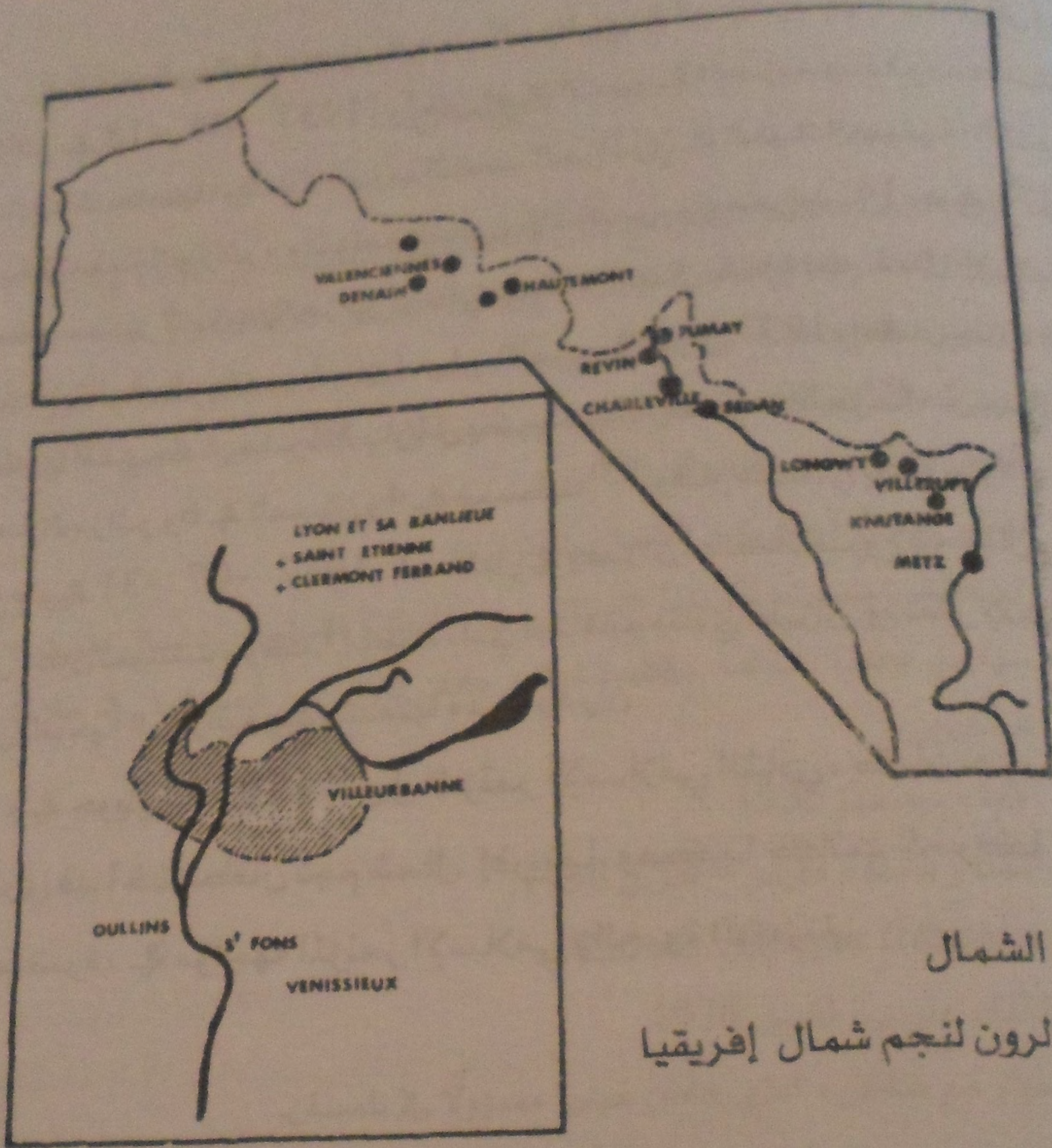
لم تكن لجان أحباب الأمة متواجدة على كامل التراب الجزائري. وقد قام الوطنيون بالانخراط في الجمعيات الموجودة، كالجمعيات الرياضية وفرق الكشافة والنوادي الثقافية. ففي وهران، على سبيل المثال، نجحوا في الوصول إلى قيادة الاتحاد الأدبي لمستغانم، ونادي الإيمان بغيليزان، لكنهم لم يستطيعوا الاستحواذ على نادي النجاح لسيدي بلعباس وجمعية الفلاح في وهران، اللذين كانا تحت قيادة العلماء. وقد أُنشئت لجان لأحباب الأمة في سيدي بلعباس وعين تيموشنت وتلمسان ومستغانم.[92] وكانت لجان مدينة الجزائر وناحيتها، ولجان فيليبفيل (سكيكدة حاليا) وقسنطينة الأكثر نشاطًا.



لكن أحباب الأمة لم تكن لهم آلية الحرب نفسها. وهكذا تقرر إطلاق تجمع جديد، وهوحزب الشعب الجزائري. وقام كل من مصالي وعبد الله فيلالي وكحال أرزقي بوضع القوانين الأساسة والبرنامج وقائمة مجلس القيادة والإدارة. وقام مصالي وفيلالي بإيداع ملف تأسيس الحزب على مستوى محافظة الشرطة[93]، بتاريخ 11 مارس 1937. وقد تُركا في مكاتب المحافظة كامل الفترة المسائية. وبعد تسريحهما في المساء، عقدا اجتماعًا بنانتير وأعلنا عن إنشاء حزب الشعب الجزائري.

توزع نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري في باريس وضاحيتها





اتحاديتا الشمال

والرون لنجم شمال إفريقيا

كانت قيادة حزب الشعب الجزائري مكونة من معظم المسؤولين القدماء لنجم شمال إفريقيا، باستثناء عمر العيمش الذي اعتبر أن أرضية الحزب الجديد لا ترقى إلى مستوى أطروحات نجم شمال إفريقيا، حيث انسحب. وكان في الحزب الجديد مصالي وراجف بلقاسم وكحال أرزقي وجيلاني... وفي فرنسا نظم الحزب نفسه بسرعة في الناحية الباريسية، ثم في الأردين، وناحية ليون وفي «ليبوش دي رون»! فقد أخذ مكان نجم شمال إفريقيا تقريبًا في كل مكان. وقد تقرب مصالي والقادة الآخرون من الأحزاب التي كانت قد احتجت على حل النجم، وهي الحزب العمالي الأممي (تروتسكي)، والشبيبة الاشتراكية الثورية، ومناضلي اليسار الثوري.

قام مصالي بتنظيم حزب الشعب الجزائري في الجزائر، حيث وصل إلى مدينة الجزائر في 18- 06- 1937، وأخذ زمام الأمور في الحزب. وبدفع منه استعادت الإطارات شجاعتها؛ وشارك حزب الشعب الجزائري في الحياة العمومية: الانتخابات البلدية لمقاطعة الجزائر، والمؤتمر الثاني، والمناشير، واستعراض 14 جويلية 1937... وقد سمح حضور الحزب بالجزائر لمصالي بإعادة الاتصال بفروع نجم شمال إفريقيا التي كانت تشتغل قبيل حله، وبلجان أحباب الأمة. وفي جوان 1937، كان حزب الشعب الجزائري الذي كان مقره في باريس يضم حسب زكريا 80 فرعًا من بينها 14 في مقاطعة الجزائر و6 في تلمسان و4 في قسنطينة[94]. وقام مصالي بعدة جولات لتعزيز الفروع. وفي 31- 07- 1937، استقبل في وهران أعضاء فروع تلمسان وسيدي بلعباس وعين تموشنت، وكذا أعضاء نادي مستغانم ونادي غليزان. وسطر لإنشاء فروع في كل الناحية الوهرانية وفي مقدمتها مدينة وهران[95].

وفي جويلية 1937، وقبيل المؤتمر الإسلامي الثاني، كان حزب الشعب الجزائري قد أخذ مكان نجم شمال إفريقيا. وهكذا كانت الحركة الوطنية دائمًا حاضرة، في مواجهة المؤتمر الإسلامي والجبهة الشعبية.

بعد عودة بن جلول إلى الجزائر، قام بحملة من أجل سحب الاستقالات، ووجه، في 22 جانفي رسالة إلى محافظ قسنطينة، يطلب اعتبار رسائل استقالة المستشارين البلديين ورؤساء الجماعات وأعضائها المقدمة خلال الأشهر الأخيرة من 1937[55] لاغية. ورجع المنتخبون إلى أماكنهم، ولم يدم التهديد.

كان تراجع المنتخبين محل انتقادات من قبل الوطنيين، وخيب ظن حتى العلماء، أنصار المؤتمر. وقد نددت جريدة الأمة التي كانت في البداية غير مبالية بحركة المنتخبين[56] بعد ذلك برئيس الاتحادية الذي يكون قد كلفه سارو بالحصول على سحب الاستقالات: «يجب ألاّ تصبح هذه الحركة محل سخرية مثلما حدث سنة 1934. فيا أيها المنتخبون الصادقون المتمسكون بالدفاع عن الشعب، قوموا! أرفضوا التراجع عن استقالتكم[57].» ولم يخف العلماء احتقارهم للمنتخبين الذين أرادوا سحب استقالتهم: «أنتم الذين أجبتم بوعود مشافهة وكتابة، ها أنتم تناقضون أنفسكم فنحن نخجل مكانكم[58].»

كانت انطلاقة المؤتمر الثاني سيئة؛ فقد كان الصيف كافيا ليفقد المنتخبون اعتبارهم، ويتخلى عنه مؤسسوه الأساسون. وكان العلماء قد أصبحوا أكثر فتوراً تجاهه. لكن بقي أنصاره العنيدون، وهم الشيوعيون. فهل سينجحون في الصمود أمام الدعاية الوطنية وحيوية الشباب المناضل لحزب الشعب الجزائري؟

II. تنظيم حزب الشعب الجزائري

كان التنظيم القوة الأساسة لنجم شمال إفريقيا؛ فقد اكتسب العمال المهاجرون، باحتكاكهم بالنقابات والأحزاب الفرنسية روح التنظيم والانضباط والسرية. فبالنسبة لحزب الشعب الجزائري، فإن التنظيم يسبق الهدف؛ كان يجب أولا التجمع والاتحاد، وتكوين خلايا قبل التفكير في النشاط ثم العمل.

1. تجنيد شعبي

انشغل حزب الشعب الجزائري بتجنيد العمال وقد أوضحت جريدة الأمة طبيعة الحزب هكذا: منظمة مكونة حصريا من جزائريين، وليس من أهال جزائريين بصفة عامة بل من العمال الذين يشكلون أغلبية منخرطيه، ومن الشرائح البسيطة للبورجوازية المتوسطة. وكانت سياسته تعكس تركيبته الاجتماعية وتعبر عن تطلعات الجماهير. فحزب الشعب الجزائري حزب مستقل عن كل الأحزاب الفرنسية، وسطر خطه السياسي الأهالي الجزائريون، وإطاراته كانت شابة، تنقصهم الخبرة لكن لديهم إيمان وتكونوا بالعمل الدؤوب. لقد استطاع حزب الشعب الجزائري، بصرامة سياسته اجتذاب الجزائريين الثوريين الذين تركوا حزبًا شيوعيًا، كان يشوب موقفه تجاه القضية الوطنية المماطلة والغموض.

لقد كان لحزب الشعب الجزائري دائما امتداد شعبي، ولم يكن المثقفون الذين ينخرطون فيه يمثلون إلا العدد القليل. وكان للنداء الذي وجهه أحد العمال المسؤولين إلى المثقفين في هذا الشأن دلالات كبيرة. فقد كتب هذا المناضل، الذي فقد الأمل في إيجاد القبول المنشود لدى هؤلاء، والذي يعترف بارتكاب أخطاء وعدم تلقيه أي تعليم، ويعتبر أن الأحداث الأليمة التي ألمّت ببلده هي وحدها التي جعلت منه رجلا سياسيًا، فيقول: «أيتها النساء ارفعن السلاح، فالرجال لا يرغبون في ذلك. وإننا نجد أنفسنا هنا في هذه الوضعية. لقد انتظرنا طويلاً للخروج إلى المعركة والخدمة تحت قيادتكم: بما أنكم لا تهتمون إلا بملذاتكم الأنانية، فقد كنا أول من يخوض هذه المهمة الثقيلة، بغرض استنهاض شموخنا الوطني وحملكم على المجيء للنضال معنا، لخير وطننا وشعبنا المتحضر منذ أكثر من قرن من الزمن تحت هيمنة الاحتلال[59]».

مناطق تواجد نجم شمال إفريقيا وفروع حزب الشعب الجزائري الأولى

2. تنظيم مرن

لقد تنظم الحزب في فروع، واحد في كل حي (أو في كل مدينة بالنسبة لفرنسا). وكان يسيّر كل فرع لجنة مكونة من خمسة إلى ستة أعضاء منتخبين. وكان أمين الفرع الذي يكون في الغالب عضوا دائما، في الواقع، المسير الأساس. وكانت المقاطعات الثلاث في الجزائر تشكل ثلاث اتحاديات لكل واحدة منها عدة فروع.

وقد دفعت عمليات القمع قادة حزب الشعب الجزائري إلى التفكير في إعداد تنظيم سري. ولمواجهة أي حل محتمل للحزب، اهتم المناضلون بإنشاء تنظيم من شأنه احتضان الحركة. وجاء في تقارير الحكومة العامة أن حزب الشعب الجزائري قد ضمن دعم أوربيين اثنين، «برودومو» و«فانفاني»، وكان هذا الأخير أمينا سابقا للشبيبة الشيوعية، من أجل إنشاء حركة متعاطفة مع

الحزب والبرهنة على إنه ليس حزبًا فاشيا[60]. لكن حزب الشعب الجزائري كان حريصًا جدًا على استقلاليته، وعليه رفض في باريس برنامج التعاون الذي قدمه له وفد استعماري من الحزب الشيوعي، والذي لم يكن إلا «صيغة لاختراق اللجنة المركزية» والاستحواذ الشامل على جريدة الأمة[61] من قبل الشيوعيين.

لقد أدى اعتقال قادة حزب الشعب الجزائري بالحزب إلى تبني أشكال تنظيمية سرية. فتم في ربيع 1938 إلغاء لجان الفروع وتعويضها بطاقم إداري من عضوين أوثلاثة محل ثقة، تفاديًا لكل خطر من مخاطر التسرب. وتم في الوقت نفسه، التأكيد على مواصلة الولاء والوفاء للحزب وللمُثل التي سطرها نجم شمال إفريقيا. وتم نشر «مشروع ميثاق المطالب» على شاكلة مخطط المطالب الفورية الذي قدمه نجم شمال إفريقيا إلى حكومة الجبهة الشعبية على شكل منشورات[62]. ولما بدا أن قمع البوليس قد قضى على الحزب انطلقت مبادرات على المستوى المحلي وجعلته ينهض من جديد.

وفي شهر نوفمبر 1938، أشار تقرير للحكومة العامة[63] إلى صعود لحزب الشعب الجزائري الذي كان تنظيمه قد ضعف بعد اعتقال مصالي وأصدقائه. فقد استأنف الحزب نشاطاته في وسط القضية، وكان الناس يترددون بانتظام على مقر الفرع (20، شارع سيدي امحمد الشريف. وتم تعيين محمد بن أحمد طالب - بدون مهنة- أمينا وممثلا للحزب بهذا الحي. وقد نجح في ضم ما يقارب مائتي منخرط، في الدوائر الأولى والثانية والثالثة. وفي نهاية الشهر، كشف الحزب عن نفسه للسلطات، في 21 و22 نوفمبر، بالتوقيع على منشورين اثنين تم تعليقهما على الجدران في مدينة الجزائر وفي عدة مدن داخلية (دلس، البليدة، بوفاريك، حسين داي، تيزي وزو)، أحدهما يناشد المسلمين بالمطالبة بإطلاق سراح مصالي والشيخ عبد العزيز الهاشمي وكل ضحايا القضية الجزائرية، ويدعوالآخر إلى إقامة «محور» تونس - الجزائر - فاس، للمطالبة

بالعفو الفوري عن مصالي وعلال الفاسي وبورقيبة وكل ضحايا الاستعمار. وفي 27 نوفمبر دعم مناضلو حزب الشعب الجزائري ترشيح عباس محمد (عضو بالحزب) ويومنجل اللذين نجحا في الانتخابات الجزئية لمدينة الجزائر، المدعو عبد الله بدا حزب الانتخابات. ويدفع من كحال أرزقي وفيلالي مبارك، الشعب الجزائري يسترجع شيئا فشيئا الثقة في نفسه وأبدى إرادة جلية في العودة إلى العمل الذي باشره مصالي من قبل. إلا إنه كان هناك اختلاف، بحيث كان الحزب يريد ضمان مساعدة المنظمات المناهضة الفاشية له، وهو ما يمثل تمهيدا للدعم السياسي المنتظر. لكن صدر في حق قادة الحركة الرئيسين مذكرة توقيف من القاضي المكلف بالتحقيق المفتوح في إعادة تكوين جمعية منحلة، دون أدنى رد فعل من السكان. وبعد هذه الاعتقالات، كان المناضل الأكثر ظهوراً عمارة رشيد الذي أثار الانتباه بنشاطه في ناحية الجزائر.

بعد ورود إشاعات عن حل حزب الشعب الجزائري، غادر العديد من الشبان الجزائريين ذوي التعليم الجيد باللغة الفرنسية الجزائر ليلجأوا إلى فرنسا، حيث وجدوا مأوى لدى إخوانهم في الدين. ولم تكن الشرطة تعرف أسماءهم المستعارة، سي عمار، سي شريف، بن قلاتي، رشيد... واقترح هؤلاء الشبان المناضلون حل حزب الشعب الجزائري وتكوين جمعية جديدة، حيث يقصى من مناصب القيادة كل من مناضلي نجم شمال إفريقيا القدامى المعروفين، الذين من شأن بقائهم التسبب في ممارسة القمع من جديد. فقد كانوا يهدفون إلى تعويضهم بعناصر متعلمة ويرغبون في وضع هذا التجمع تحت رعاية شخصيات فرنسية. وقد بحثوا عن الدعم لدى رجال سياسيين لا ينتمون إلى الجبهة الشعبية. لكن العناصر العمّالية لحزب الشعب الجزائري، وخاصة القادة القدامى لنجم شمال إفريقيا، راجف بلقاسم، آيت منقلات، عمارة، خيذر عمار وآخرين، التي كانت ترغب في المحافظة على استقلال حركة نجم شمال إفريقيا، وعلى طابعها الوطني رفضوا قبول رعاية أحزاب أوشخصيات سياسية فرنسية. واعتبرت

فضلا عن ذلك هذه الاقتراحات مناورة تهدف إلى افتكاك قيادة التجمع منها إلى أناس جدد.

كان اقتراب الحرب يهدد بحل حزب الشعب الجزائري؛ وأراد بعض المسؤولين في باريس - مع راجف - التمويه على المنظمة باسم جمعية: «رابطة مسلمي شمال إفريقيا.» وكانت هذه الرابطة التي كان يترأسها منصوري، وهوصاحب مقهى في المقاطعة الخامسة عشرة، وينشطها آيت على والأستاذ بهلول، وخاصة أمينها العام «بلكروة» بمثابة جمعية خيرية أكثر منها سياسية. وقد تم، خلال جمعية عامة انعقدت في 48 شارع «أوردنر»مناقشة المسألة، لكن رفض الاقتراح الذي أسيء تأويله - حيث اعتبر محاولة لقبر الحزب - لكن «بيداك» الذي استند إلى رسالة من الجزائر، كان هوالمنتصر. وتنحى راجف وسي الجيلاني جانبا[65] تاركين المكان لكل من حيبوش وشعبان وعلي واعمر. وقد أراد هؤلاء الحد من سلطة مصالي وفكروا حتى في إلغاء اسمه من أناشيد الحزب[66]. وكانت معارضة مصالي جديّة، لكن السلطة المعنوية للقائد الوطني ظلت كبيرة.

3. قيادة تعتمد على شهرة مصالي:

كان مصالي - رئيس حزب الشعب الجزائري- يرمز إلى قيادة الحزب. وإذا كان أصلا في ذلك الوقت بعض المناضلين القلائل يخشون مخاطر عبادة الشخصية، فقد كان تقريبا كل الآخرين يقدرون وطنية مصالي وشجاعته. وهكذا، نجده على رأس الحزب، في باريس كما في الجزائر، حتى بعد اعتقاله. وقد عاب بعض أعضاء اللجنة المركزية في فرنسا على المكتب السياسي اعتماده على سياسة تنقصها الروح الثورية... فتم اتخاذ قرار بالدعوة إلى مؤتمر وطني في باريس؛ وقرر أعضاء المكتب القدامى عدم الترشح لانتخابات المكتب السياسي الجديد. فقد كان المنتخبون الجدد، ومنهم عمر العيمش وأحمد عاشوي مصممين على تطبيق سياسة أكثر قوة[67]. فأرسلوا كحال أرزقي إلى مدينة الجزائر

لتشكيل لجنة سرية لحزب الشعب الجزائري وتدريب أعضائها على الكفاح السري. وكانت اللجنة مكلفة بمعاودة الاتصال مع قسنطينة وعنابة وفيليبفيل (سكيكدة حالي) ووهران وتلمسان حيث كانت توجد الفروع الأكثر ديناميكية. وقد قام كحال بمهمته على أكمل وجه. وكان هناك ثلاثة أشخاص يقودون عمليا الحزب: كحال وفيلالي وقنانش[68]. لكن تم اعتقال كحال بعد وصوله إلى مدينة الجزائر ببعض الوقت. فتم تقليص قيادات الفروع في أفريل 1938. وقد أعلن المحافظ المركزي لتلمسان بأنه لم يكن على رأس فرع المدينة إلا ثلاثة مسؤولين: بن عصمان وبن ديمرد وممشاوي[69].

كانت هناك من المفروض لجنتان تسيران الحزب، واحدة في باريس، والأخرى في الجزائر. لكن وجود مصالي في الجزائر أضفى أهمية أكبر على لجنة الجزائر.

1. اللجنة المركزية (باريس)

الرئيس: مصالي الحاج، معتقل بمدينة الجزائر.

الأعضاء: خيذر عمر، راجف بلقاسم، ردوح محمد، سي جيلالي صنهاجي، لعروسي، آيت حيبوش، وبيداك.

2. اللجنة المديرة (الجزائر)

الرئيس: مصالي الحاج.

الأمين العام: مقري حسين (من يسر، وهوسائق سيارة أجرة ومؤسس فرع سيدتنا الإفريقية).

الأمين المساعد: مغازي خالد.

دائم: بلعيد محمد.

الأمين العام للمالية: عبدون محمود[71].

الأعضاء: مزرنة[72]، خيذر محمد، بن يوسف محمد، بورناش مقران المدعوالوزاني، وهوطباخ بالجزائر، قاسمي محمد بن صالح، وهوعامل طباعة بالجزائر، حيواني لخضر، حلاق.

ويضاف إلى هذه الأسماء، أسماء كل من فليتة وسعدي وزاوي والحاج مصطفي ودكوش وقنانش.

3. الاتحاديات الإقليمية بمدينة الجزائر.

- اتحادية الجزائر: في الواقع كانت هي التي تنسق بين الاتحاديتين الأخريين. وكان على رأسها مصالي، لكن عمليا كان يسيرها الطالب بوقادوم الحواس والخيّر وعمارة المدعورشيد.
- اتحادية قسنطينة: فيلالي على المدعوالمكي (من القل).
- اتحادية وهران: بومدين معروف، من تلمسان.

وقد أدت قضية الاتصالات مع ألمانيا[73] بمصالي إلى المطالبة في ربيع 1939 باستقالة أحد عشر مسؤولا ومناضلا في الجزائر[75]. وتم في الوقت نفسه إبعاد مسؤولين من فرنسا، كانوا قد وافقوا على تلك الاتصالات. وقد أبقى مصالي على هيمنته على الحزب وتوجهه. وقد استفاد مصالي مع زملائه من النظام السياسي في قيادة الحزب من السجن المدني في «ميزون - كاري» (الحراش حاليا)؛ وكانت اللجنة المركزية تجتمع هناك كل أسبوع في أيام الزيارة.

لم تسمح الظروف للحزب بعقد جمعياته العامة بانتظام. وقد انعقدت الجمعية الأولى في 20 و1938/08/21 بباريس. ونشطها راجف وخيذر وبيداك، ولم تمس هياكل الحزب. ولما كان القادة الرئيسون في السجن، فقد كان يجب جمع المناضلين وحملهم على الكفاح حول نقطة محددة. على الصعيد العام قررت الجمعية التوجه بعزم نحوالجماهير، فهي الرهان الوحيد القادر على فرض الحق في التنظيم والتعبير، وتكثيف الدعاية في الأوساط الديمقراطية وفي الطبقة العمالية الفرنسية، من أجل مقارعة ومواجهة الدعاية إلى التفرق والحقد التي يغذيها من يُسَمَّوْنَ «القادة البروليتاريين» الستاليين، ومن أجل الكفاح لسد الطريق أمام كل أصناف الفاشيين، ونصرة الديمقراطية. وقررت الجمعية الانخراط في التجمع الإسلامي حول برنامج مشترك للمطالبة الفورية، دون

التخلي - مع ذلك - عن مبدئها الخاص. وكان هناك في الجزائر بعض الاجتماعات الموسعة، ولكنها لم تكن جمعيات عامة حقيقية.

كان المبدأ السائد هو مبدأ ديمومة الحزب، فكانت القيادة تتأقلم مع الظروف، وكان هناك شبان يبرزون لأخذ مكان المسؤولين الموقوفين، فقد بقيت الاستمرارية الإيديولوجية مضمونة بفضل وزن القادة الموقوفين، خاصة مصالي الحاج، بمعية رموز الوطنية.

4. ارتفاع عدد المنخرطين رغم القمع

رغم بعض التباينات في المعلومات المتضمنة في تقرير الحكومة العامة، يمكن تأكيد أن الفروع المنشأة في 1937و1938، قد بقيت متواجدة. وتعطي دراسة للحكومة العامة قائمة فروع حزب الشعب الجزائري التي تشكلت في 1937[76]:

مقاطعة الجزائر:

. ثمانية عشر فرعا موجودا: أحد عشر منها في مدينة الجزائر، وواحد في كل من حسين داي و«ميزون كاري (الحراش حاليا)» (الحراش) والرويبة وتيزي وزووشرشال والأربعاء إيراثن (وستة عشر فرعا آخر في طور الإنشاء).

مقاطعة قسنطينة:

. ستة فروع: واحد في كل من قسنطينة و«كانروبير» وقصر صباحيك وقالمة وعنابة (بون) وسطيف (وثلاثة عشر فرعا في طور الإنشاء).

مقاطعة وهران:

- ستة فروع: اثنان في سيدي بلعباس، وواحد في كل من معسكر وتلمسان ومستغانم وسيدو(وفرعان اثنان في طور الإنشاء في وهران ومغنية).

لدينا إذا في المجموع ثلاثون فرعا موجودا وواحد وثلاثون فرعا في طور الإنشاء (مشاريع).

إلى غاية جوان 1937، كان لحزب الشعب الجزائري الذي كان مقره في الجزائر، حسب ما قال لنا زكريا أربعة عشر فرعا في مدينة الجزائر، وستة في تلمسان، وأربعة في قسنطينة. كان هناك في المجموع ثمانون فرعا[77]. وفي فرنسا كانت مختلف الفروع مهيكلة في ثلاث اتحاديات، اتحادية ناحية باريس، ويرأسها بولكروع موسى، واتحادية ناحية ليون بقيادة بيداك محمد واتحادية الشمال.

ويعطي تقرير مصلحة الشؤون الأهلية لشمال إفريقيا لشهر جويلية 1938 جدول تعداد الحزب الذي قامت بإحصائه الشرطة:

- فرنسا: 1426 منخرطاً، منهم 334 في باريس و692 في ناحية باريس.
- الجزائر: 1057 منخرطاً، منهم 655 في مدينة الجزائر وحدها.

بالنسبة للفروع، فقد كان لحزب الشعب الجزائري ثلاثة وثلاثون فرعا في فرنسا (واحد وعشرون في ناحية باريس واثنا عشر في باقي فرنسا)، وتسعة عشر فرعاً في الجزائر (منها ستة عشر في مقاطعة الجزائر)[78].

وقد سمحت الانتخابات التي أجريت بمدينة الجزائر (المجلس المحلي والمجلس العام) للإدارة بإعداد جدول للتنظيم الإقليمي لحزب الشعب الجزائري في مقاطعة الجزائر في ديسمبر 1938: ثمانية وعشرون فرعا منظما وثلاث وعشرون نواة غير منظمة، بينما لم يكن الحزب يتوافر في بداية السنة إلاّ على ستة عشر فرعا.

كان حزب الشعب الجزائري متواجدا في مدينة الجزائر بصفة أكثر: كانت المدينة تتوفر على أربعة عشر فرعا بأكثر من خمسمائة مناضل في فرعي المؤسسة لكل من شركة السكك الحديدية وتراموي الجزائر[70]، وتم إنشاء فروع ضواحي العاصمة (الحراش، القبة...) في المدن الرئيسة لمتيجة (بوفاريك، البليدة...)[80]. وبعد ذلك امتد حزب الشعب الجزائري بقوة في منطقة القبائل، كما يشير إلى ذلك تقرير للحكومة العامة في جوان 1939[81]. لقد أصبحت ناحية الجزائر وبلاد القبائل قلعتين لحزب الشعب الجزائري في مقاطعة الجزائر.

وفي ناحية وهران تغلغل مناضلوالنجم القدامى في بعض النوادي، كما كان الحال بالنسبة للاتحاد الأدبي لمستغانم ونادي الإيمان في غليزان. لكنهم لم يستطيعوا اختراق نادي النجاح في سيدي بلعباس، ولا نادي جمعية الفلاح بوهران. ولم تنشأ جمعية أحباب الأمة إلا في أربعة مراكز عمرانية: تلمسان وعين تيموشنت وسيدي بلعباس ومستغانم[82]. ولم يتم إلا في جوان 1937، في عين تيموشنت بعث أول فرع لحزب الشعب الجزائري بناحية وهران. وفي 1937/07/31، اتصل مصالي بمناضلي تلمسان وسيدي بلعباس وعين تيموشنت ومستغانم وغليزان من أجل إنشاء فروع في ناحية وهران. وأنشئ فرع تلمسان في 1939/08/29م، يومان بعد اعتقال مصالي، على إثر إقامة تجمّع وطني. وكان الفرع الذي يقوده معروف بومدين الأكثر نشاطاً، حيث كان يضمّ 150 عضواً. وقد كان أحد مسؤوليه، وهوقنانش محمد عضوا في اللجنة المديرة. وبعد اعتقال معروف وبن رزوق، أصبح الفرع تحت قيادة بن يلس حسين والعياشي. وبالإضافة إلى فرع تلمسان، أنشئت فروع سيدي بلعباس بقيادة بسطي الجيلالي، وهوموظف بنك. وأسست وهران فرعها بعد انتخابات أكتوبر 1937، وتيارت في ديسمبر من السنة نفسها. وبالإضافة إلى فروع المناضلين، كان الحزب يريد تأطير الشبيبة، فاهتم بوحدات الكشافة الأولى وبالجمعيات الرياضية، فأنشئت في تلمسان حركة الشبيبة الوطنية الجزائرية، حيث كانت هناك محاولة بث حب الوطن وروح التضحية فيها[83].

لقد انطلق حزب الشعب الجزائري بأقل سرعة في ناحية قسنطينة، حيث كان المنتخبون والعلماء متواجدين بقوة. وأشار تقرير قدم للعماد «فالان» محافظ قسنطينة[84] إلى أنه بين نهاية 1937 وبداية 1939 تم إنشاء خلايا هامة للحزب بالمقاطعة في قسنطينة وعنابة وقالمة وواد زناتي وتبسة وبسكرة وسكيكدة وجيجل وبجاية، وأنه تم - من جهة أخرى- إنشاء فروع أقل أهمية في عدد من المدن الصغيرة. ويشير التقرير نفسه إلى أن غالبية المناضلين كانوا من الشباب

الذين لا تزيد أعمارهم عن واحد وعشرين سنة، إلا أن تنامي الحزب قد كبحه اعتقال القادة وتجنيد 1939.

وعلى الرغم من القمع[85]، فقد نجح حزب الشعب الجزائري في إنشاء عدة فروع في الجزائر وفي التواجد بقوة في منطقة الجزائر، وبلاد القبائل، وفي بعض المراكز العمرانية: تلمسان وسيدي بلعباس ومستغانم ووهران وغيلزان وقسنطينة وسكيكدة وقالمة وعنابة وسطيف. وقد وسع إنشاء مختلف المنظمات والجمعيات التربوية والنوادي والمدارس واللجان الانتخابية ولجان الدفاع عن المساجين السياسيين ورابطة أحباب الأمة[86] بصفة معتبرة مجال نفوذ حزب الشعب الجزائري.

ونجح حزب الشعب الجزائري في جمع مناضلين، أغلبهم من الشباب[87] من الشرائح الضعيفة في المدن، وصغار الأجراء، والتجار الصغار، ولاسيما عمال المؤسسات الصغيرة، والبطالين، وبصفة عامة من الرجال الأحرار المستقلين غير الخاضعين لكبار أرباب العمل، أومن موظفي الدولة الذين يتمتعون بتعليم ابتدائي بالفرنسية أوبالعربية. ويفسر شباب هؤلاء المناضلين واستقلالهم الاجتماعي بقسم كبير موقفهم الراديكالي وتعاطفهم مع الحركة الوطنية الثورية التي حدد معالمها العمال المهاجرون، وعمداء نجم شمال إفريقيا وزعيمهم مصالي الحاج.

لقد رفع حزب الشعب الجزائري تحدي الجبهة الشعبية التي تجرأت على حل نجم شمال إفريقيا. وقد نجح الحزب في مواصلة نهج أول منظمة وطنية وفي حمل المعركة السياسية إلى الجزائر، حيث تبنت الشبيبة الخطاب الوطني والثوري للعمال المهاجرين.

كان هناك عمل هام في انتظار الحزب: إيصال مبادئه السياسية إلى الشعب ونشر برنامجه بين الجماهير.

III. برنامج حزب الشعب الجزائري:

لقد كان من الصعب إعداد برنامج يختلف عن برنامج نجم شمال إفريقيا دون التنكر للذات. لكن لم يكن بالإمكان تبني هذا البرنامج دون التعرض للمتابعة بتهمة إعادة تأسيس جمعية محلة. وهكذا اكتفى حزب الشعب الجزائري - على مدى الأحداث- بتوضيح النقاط الأساسة في برنامجه. وتمثل جريدة الأمة والجرائد الأخرى والمناشير والجدالات مع الأحزاب الأخرى - في هذا الشأن- مصدرا مهما. وقد ظل إعداد برنامج عام ومذهب واضح أمنية المناضلين والمسؤولين على حد سواء. وفي سبتمبر 1938، يخبرنا تقرير للشرطة[88] أن مصالي وزكريا قد كتبا في السجن وثيقة بالعربية والفرنسية حول النشاط السابق والحاضر والمستقبلي لحزب الشعب الجزائري. وهذا يدل على مدى انشغال القادة بصياغة برنامج.

1. الأهداف:

قدم المكتب السياسي أهداف حزب الشعب الجزائري هكذا: الكفاح الفوري من أجل تحسين وضع الجزائريين المعنوي والمادي، الدفاع عن كل الشعب الجزائري والعمل على تمكين مجموع السكان، دون تمييز عرقي أوديني، من التمتع بالحريات بنفسها، وذلك بتأدية الواجبات بنفسها. وكان شعار الحزب: لا إدماج، لا انفصال، لكن تحرر. وكان يعتبر الاندماج وهما. فشعب من ستة ملايين رجل يتكلمون اللغة نفسها ولهم الدين نفسه والتاريخ نفسه، بحيث يتمسك بهذه المقومات بإخلاص، لا يمكنه أن يندمج ولا أن يختفي، لكن يمكنه التحالف. فلم يكن للحزب نزعة انفصالية، «ومع الشعور بالحرية الداخلية، فإن الأمر الواقع والمصالح تضطر الشعوب إلى الاتحاد أوالتحالف من أجل ضمان أمنها المتبادل والسماح بتبادل منتوجاتها واقتصادياتها» فحزب الشعب الجزائري يرفض الاندماج، لكن دون الانفصال عن فرنسا: «ستكون الجزائر المتحررة صديقة فرنسا وحليفتها. فمثال سورية وفرنسا،

... تتمثل في الدفاع عن صغار التجار والأعمال الحرفية والفلاحين الصغار والطلبة والمهن الحرة، وفي تحسين ظروف سكان مناطق الجنوب[89].

لقد سطر حوار لمصالي الحاج[90]، في أوت 1937 بصفة جد جلية الخطوط العريضة لبرنامج الحزب، مميزا من جهة الحريات الديمقراطية، ومن جهة أخرى المطلب السياسي الأساس، ألا وهوالبرلمان الوطني الجزائري. ولم يكن يخشى الحديث عن الجزائر المسلمة وأوضح معالم الحركة الوطنية الجزائرية والثورية.

وفي جانفي 1938، أوضحت جريدة الأمة من جديد برنامج الحزب:

«برنامجنا:

المجال السياسي:

1. إلغاء قانون نظام الأهالي وقانون الغابات وكل القوانين الاستثنائية.
2. منح الحريات الديمقراطية: حرية الصحافة وإنشاء الجمعيات والفكر، والحرية النقابية وحرية الاجتماع، احترام الديانة الإسلامية مع إرجاع أملاك الوقف «الحبوس» وتسييرها إلى أصحابها.
3. إلغاء الاعتمادات الممنوحة للديانتين الكاثوليكية والبروتستانتية من قبل الحكومة.
4. حرية السفر إلى فرنسا والخارج.
5. تحويل المندوبيات المالية إلى مجلس جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام، دون تمييز عرقي أوديني.
6. فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

المجال الاجتماعي:

1. ترقية التعليم باللغتين العربية والفرنسية.

ومصر وبريطانيا، له دلالة جلية، وهذا ما يريده الشعب الجزائري.» وكخطوة مستعجلة، قدم الحزب دفتر مطالب تتمثل في الدفاع عن صغار التجار والأعمال الحرفية والفلاحين الصغار والطلبة والمهن الحرة، وفي تحسين ظروف سكان مناطق الجنوب[89].

لقد سطر حوار لمصالي الحاج[90]، في أوت 1937 بصفة جد جلية الخطوط العريضة لبرنامج الحزب، مميزا من جهة الحريات الديمقراطية، ومن جهة أخرى المطلب السياسي الأساس، ألا وهوالبرلمان الوطني الجزائري. ولم يكن يخشى الحديث عن الجزائر المسلمة وأوضح معالم الحركة الوطنية الجزائرية والثورية.

وفي جانفي 1938، أوضحت جريدة الأمة من جديد برنامج الحزب:

«برنامجنا:

المجال السياسي:

1. إلغاء قانون نظام الأهالي وقانون الغابات وكل القوانين الاستثنائية.
2. منح الحريات الديمقراطية: حرية الصحافة وإنشاء الجمعيات والفكر، والحرية النقابية وحرية الاجتماع، احترام الديانة الإسلامية مع إرجاع أملاك الوقف «الحبوس» وتسييرها إلى أصحابها.
3. إلغاء الاعتمادات الممنوحة للديانتين الكاثوليكية والبروتستانتية من قبل الحكومة.
4. حرية السفر إلى فرنسا والخارج.
5. تحويل المندوبيات المالية إلى مجلس جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام، دون تمييز عرقي أوديني.
6. فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

المجال الاجتماعي:

1. ترقية التعليم باللغتين العربية والفرنسية.

2. التعليم الإجباري للغة العربية لكل السكان الأصليين وعلى جميع المستويات.
3. تطبيق كل القوانين الاجتماعية وقوانين العمل السارية المفعول في فرنسا، في الجزائر.
4. ترقية النظافة والمساعدات العمومية.
5. حماية الطفولة.

المجال الاقتصادي:

1. خفض الضرائب.
2. التدرج في الضريبة على الدخل.
3. تأميم القرض والصناعات الأساسة والمجالات المحتكرة بفعل الأمر الواقع.
4. محاربة البطالة بتنمية المشكلة المائية.
5. إلغاء الاستيطان وتثبيت الأهالي على الأرض وذلك بتسهيل الحصول على وسائل الاستغلال.
6. قمع التعاملات الربوية عن طريق القروض غير المكلفة للفلاحين التجار.
7. إقامة نظام جمركي يحافظ على الصناعات والمنتجات المحلية وحمايتها من المنتجات المثيلة.

المجال الإداري:

1. قبول كل الجزائريين دون تمييز في كل الوظائف مع تطبيق مبدإ: «المساواة في العمل، المساواة في الأجر.»
2. إلغاء كل التعويضات والمنح ذات الطابع العرقي أوالسياسي.
3. إلغاء الأقاليم العسكرية والبلديات المختلطة.(91)»

كانت النقطة الخامسة من المجال السياسي هي الأكثر أهمية؟ فهي تطرح في الواقع القضية الوطنية، لأن مجلسًا جزائريًا ذا أغلبية مسلمة لا يمكنه

إلا أن يتحكم في إدارة البلاد وقيادتها. وكانت الإصلاحات الأخرى هي الإصلاحات نفسها التي كان قد طالب بها الأمير خالد والمنتخبون والمطروحة من قبل من قبل نجم شمال إفريقيا. وتدخل الإصلاحات العديدة المتضمنة في هذا البرنامج على الطابع البروليتاري للحزب.

وأثناء تقديم برنامج حزب الشعب الجزائري، كانت جريدة الأمة[92] تؤكد على ضرورة العمل من أجل «تحرر حقيقي للجماهير التي ما تزال تخضع للاستغلال» وإفشال «المناورات الدنيئة للإمبريالية الجشعة».

وحددت الجمعية الأولى للحزب، في 1938 من جديد الإصلاحات الواجب العمل على اعتمادها لصالح الجماهير. وقد صوتت الجمعية على عدة لوائح تطالب بتوسيع التعليم العمومي والنهضة الاقتصادية للبلاد، بالمصادقة على إجراء لصالح التجار وعمال الفلاحة والموالين والحرفيين، مع إعادة طرح عدد من المطالب العامة المتعلقة بخلق مناصب العمل وبتنظيم القرض[93].

2. ضد إلحاق الجزائر سياسيا بفرنسا:

كان حزب الشعب الجزائري يلح على الاستفادة «من التجارب التي اكتسبها» نجم شمال إفريقيا وعلى معارضة - كما فعل النجم- سياسة الإلحاق التي اقترحها المؤتمر. وكانت الرغبة في جعل الجزائر «دومينيونا» ومنحها برلمانا تستبعد سياسة الإلحاق والاندماج، فقد كان حزب الشعب الجزائري يرتكز على الإسلام والتاريخ، لتبرير رفض إلحاق الجزائر بفرنسا. وهكذا نفهم لماذا «يعمل الاستعمار على تحطيم الإسلام وليس على التعاون معه. لكن الإسلام لا يندمج، فهويفرض نفسه بمبادئه العادلة والإنسانية، بمؤسساته العريقة التي من شأنها أن تكون سبب سعادة الشعب المسلم أن هواتبعها حرفيا. إنه المرساة المركزية التي يبقى رجاؤنا معلقا بها[94].» أن ماضي الإسلام المجيد حاضر ليشهد على ذلك. وهكذا فلن يكون الجزائريون «فرنسيين، لا بالعرق ولا باللغة ولا بالدين. لا وألف لا: فالعربي سليم العقل لن يكون أبدا فرنسيا،

مهما فعلتم، أيها السادة الاندماجيون. فلن يستطيع أن يصبح كذلك بين عشية وضحاها تحت التأثير السحري لأي برنامج».

لقد برر حزب الشعب الجزائري إدانته للإدماج بالتذكير بأن الجزائر كانت، قبل قدوم فرنسا، تمثل أمة حقيقية: «كان يحركنا شعور تضامني واحد والإحساس الوطني نفسه. وكان لنا نمط حياة خاص. وبتقليدها للغرب، فإن الجزائر تجري إلى فنائها الحتمي.» وكان الحزب الوطني يوصي المناضلين بالحفاظ على خصوصية الجزائر، وبعدم تقليد الغرب، وبأن فرنسا لم تأت إلى الجزائر لنشر الحضارة، بل من أجل الاستعمار. «إن الاستعمار يعمل على تحطيم الإسلام وليس على التعاون معه[95]»، وكان الاندماج يعتبر وهما.

لقد كان التاريخ الذي كان حزب الشعب الجزائري يعلمه يوافق الفكرة التي كانت الجماهير الشعبية تتبناها، فيما يخص الاحتلال الفرنسي والخدمة العسكرية، لاسيما في زمن الحرب، ويتطابق مع العبرة التي تستخلص هذه الجماهير منها التفرقة المطبقة في الجزائر[96].

3. ضد مشروع بلوم- فيوليت:

بالإعلان عن إنشاء حزب الشعب الجزائري، ذكرت جريدة الأمة[97] ببرنامج النجم وهدفه، أي إدانة سياسة الاندماج المتبعة منذ أكثر من قرن، وطالبت بتطبيق سياسة جديدة، والمتمثلة في البحث عن صداقة شعب.

بقي حزب الشعب الجزائري، بتنديده بالاندماج السياسي وبمشروع فيوليت وأنصارهما (الشيوعيين والمنتخبين والعلماء)، يسير على خطى نجم شمال إفريقيا: «نحن لم نكف أبدا عن مناهضة هذا المشروع[98].» وكان الاندماج مجسدا في مشروع فيوليت. وقد خاض الحزب ضد أصحاب المشروع معركة شرسة، معتبرا إنه من المستحيل تغيير الجنسية كما نغير ربطة العنق: «إن جنسيتنا هي، قبل كل شيء، ماضينا وتاريخنا وعاداتنا وتقاليدنا وذكريات شبابنا وممارساتنا الفكرية، وهوكل ما يدخل في تكوين أنانا، ولا

مهما فعلتم، أيها السادة الاندماجيون. فلن يستطيع أن يصبح كذلك بين عشية وضحاها تحت التأثير السحري لأي برنامج».

لقد برر حزب الشعب الجزائري إدانته للإدماج بالتذكير بأن الجزائر كانت، قبل قدوم فرنسا، تمثل أمة حقيقية: «كان يحركنا شعور تضامني واحد والإحساس الوطني نفسه. وكان لنا نمط حياة خاص. وبتقليدها للغرب، فإن الجزائر تجري إلى فنائها الحتمي.» وكان الحزب الوطني يوصي المناضلين بالحفاظ على خصوصية الجزائر، وبعدم تقليد الغرب، وبأن فرنسا لم تأت إلى الجزائر لنشر الحضارة، بل من أجل الاستعمار. «إن الاستعمار يعمل على تحطيم الإسلام وليس على التعاون معه[95]»، وكان الاندماج يعتبر وهما.

لقد كان التاريخ الذي كان حزب الشعب الجزائري يعلمه يوافق الفكرة التي كانت الجماهير الشعبية تتبناها، فيما يخص الاحتلال الفرنسي والخدمة العسكرية، لاسيما في زمن الحرب، ويتطابق مع العبرة التي تستخلص هذه الجماهير منها التفرقة المطبقة في الجزائر[96].

3. ضد مشروع بلوم- فيوليت:

بالإعلان عن إنشاء حزب الشعب الجزائري، ذكرت جريدة الأمة[97] ببرنامج النجم وهدفه، أي إدانة سياسة الاندماج المتبعة منذ أكثر من قرن، وطالبت بتطبيق سياسة جديدة، والمتمثلة في البحث عن صداقة شعب.

بقي حزب الشعب الجزائري، بتنديده بالاندماج السياسي وبمشروع فيوليت وأنصارهما (الشيوعيين والمنتخبين والعلماء)، يسير على خطى نجم شمال إفريقيا: «نحن لم نكف أبدا عن مناهضة هذا المشروع[98].» وكان الاندماج مجسدا في مشروع فيوليت. وقد خاض الحزب ضد أصحاب المشروع معركة شرسة، معتبرا إنه من المستحيل تغيير الجنسية كما نغير ربطة العنق: «إن جنسيتنا هي، قبل كل شيء، ماضينا وتاريخنا وعاداتنا وتقاليدنا وذكريات شبابنا وممارساتنا الفكرية، وهوكل ما يدخل في تكوين أنانا، ولا

يمكن إفراغ الشخصية من محتواها بمجرد الرغبة في ذلك. وبعبارة أخرى، لا يمكن للفرد أن يلغي انتماءه العربي أوالقبائلي ليصبح فرنسيا بين عشية وضحاها[99].» فمشروع فيوليت ما هوإلا «عظم قضم[100]» أعطي للساسة، وقد نسفه أولئك الذين يدعون الدفاع عنه أنفسهم.

كان الوطنيون يعلمون بأنهم - بمعارضتهم لمشروع فيوليت- يضادون قسما كبيرا من المسلمين الذين يرون، بالسير وراء المؤتمر والعلماء والمنتخبين، في التمثيل البرلماني مرحلة أولى على طريق التحرر. لكن هذه الطريق تقود إلى الاندماج، وهوما لم يكن يرغب فيه حزب الشعب الجزائري: «نحن أنفسنا نعلم بأنه بمعارضتنا لمشروع فيوليت، سوف ينفر منا المستفيدون منه على الأقل، لكننا فعلنا ذلك لأننا متيقنون بأنه عنصر تفكك المجتمع المسلم، وعليه كان يجب عمل كل شيء لمنع الشعب المسلم، الواثق كثيرا في مثقفيه، من أن يكون قائد نفسه إلى فنائه.» وقد دعا حزب الشعب إلى الكفاح من أجل برلمان سيد مقره في الجزائر، عوض المندوبيات المالية، وألاّ يكون هاجسه التمثيل البرلماني في باريس[102].

صرح مصالي أثناء استماعه من قبل قاضي التحقيق في قضية اغتيال المفتي بما يلي: «نحن نقدّر بأن الجزائر أمة لها ماضيها ويجب أن تسترجع استقلالها، بدعم من الحكومة ذاتها، التي ستبقى في المستقبل صديقة لنا لا نفارقها[103].» وصرّح مصالي أثناء استجوابه: «نعم، أن برنامجنا يتضمن استقلال الجزائر لكن في إطار القانون، تحت عنوان السيادة الفرنسية، وببرلمان مشكل من منتخبين فرنسيين ومسلمين. استقلال شبيه بالاستقلال الذي استفادت منه مصر تحت رعاية بريطانيا العظمى وسورية تحت الوصايا الفرنسية»[104] ولم يكن حزب الشعب الجزائري يعترف بالجزائر الفرنسية، ولم يكن يقبل إلاّ بالجزائر الجزائرية[105].

4. من أجل سيادة الأمة الجزائرية واستقلالها:

طالب حزب الشعب الجزائري بالمشاركة والسيادة: أي بحكم ديمقراطي تمارسه حكومة مسؤولة، أمام مجلس ينتخب عن طريق الاقتراع العام، وليس من قبل إداريين مجهولين غير مسؤولين، بيادق حقيقية تتحكم بها سلطة الأقلية ذات النفوذ المالي وملاك الأراضي. «لنقارن فرنسا العصور الوسطى، عندما كانت الأقلية الإقطاعية تحتكر السيادة وتتحكم في مصير الفلاح مع فرنسا الحاضر حيث يستطيع كل واحد قول كلمته في الشأن العام، وعندها يمكن فهم أهمية الإصلاح الدستوري الذي يطالب به حزب الشعب الجزائري. فلا مجال لمقارنة فلاح اليوم بخادم ذلك العصر، والشيء الذي غيره هوتلك الرقعة من السيادة التي وضعتها الثورة بين يديه[106].»

لم يتم توضيح السيادة، حيث يجب ألاّ ننسى أن مصالي كان أمام المحكمة. وقد قدم محاميه، الأستاذ «بيرتون» التوضيح التالي: «كان النجم يهدف إلى التحرير الكلي الشامل للجزائر. أما حزب الشعب الجزائري فيريد برلمانا جزائريا منتخبا عن طريق الاقتراع العام، تحرّر الجزائر في إطار السيادة الفرنسية.[107]» وقد كان مصالي أكثر وضوحا. وحتى وإن كان معتقلا أمام المحكمة، فقد كانت له الشجاعة في التعبير دون مداراة عن إرادة الشعب الجزائري:

«نحن نريد المشاركة في إدارة بلادنا. فإننا هنا في ديارنا ونريد المشاركة فعليا في التسيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي لبلادنا؛ إننا نريد الانعتاق من مساعدة فرنسا الفعلية. نحن نطالب باستقلالنا. وإننا نعمل من أجل استقلالنا بصفة شرعية، في إطار القوانين الجمهورية. إننا نطالب بهذا الاستقلال عن فرنسا، لكننا نشعر بأنه لدينا، رغم ذلك مشاعرنا، وأنه لدينا ماض وحضارة ولغة. فنحن شعب، سيدي الرئيس، لنا لغتنا، هذه اللغة العربية الثرية. ولنا تاريخ مجيد. فقد كان لدينا - نحن كذلك- مفكرونا وجغرافيونا وعلماؤنا. فنحن نتوافر على كل ما يمكن أن يجعل منا شعبا. لقد سقطنا في الانحطاط،

لكن عرفت أمم قبلنا، أثينا وبكين وروما ذلك الانحطاط كذلك. ونحن الشباب الجزائري، الشباب المسلم، نقول الحقيقة بصراحة. إننا لا نريد ممارسة السياسة في الظل؛ نحن لا نريد سياسة الابتذال؛ إننا على قول ما نفكر فيه، فنحن نريد رؤية هذا البلد حرا! نعم، هذا هوتفكيرنا، سيدي الرئيس. لكننا نود أن يتحقق هذا من قبل فرنسا ومع فرنسا، وحينها تستطيع فرنسا ليس فقط الاعتماد علينا بل على الإسلام كاملا[108].»

لقد حرصت جريدة الأمة على التوضيح بأن الاستقلالية التي كان يطالب بها المعمرون لم تكن لتقارن بالاستقلالية التي طالب بها حزب الشعب الجزائري: «إذا كان المعمرون يتصورون استقلالية الجزائر من زاوية إمبريالية ورأسمالية، فإننا نتصورها، نحن، من زاوية اشتراكية وديمقراطية. فبالنسبة لهم، القضية قضية خمر، أما بالنسبة لنا فهي قضية حياة: فوجودنا ذاته على المحك، وما هوإيديولوجي بالنسبة إلينا لم يكن إلا أعمالا بالنسبة إليهم. فإذا كنا نحن نطالب باستقلالية بلادنا باسم العدالة وحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، فهم يطلبون هذا النظام باسم خزائنهم وأنانيتهم[109].»

كان حزب الشعب الجزائري محترزا مقارنة بالنجم، لكن كان يتصرف بالطبع من موقع تدكتيكي: كان نجم شمال إفريقيا يطالب بالاستقلال الشامل والكلي لجميع شمال إفريقيا، أما حزب الشعب الجزائري فيطالب بجعل الجزائر «دومينيونا»[110]. وهويؤكد بقوة: على الشعب الجزائري أن يفهم أن مستقبله لا يرتبط لا بحكومة يسار ولا بحكومة يمين آخذا هكذا وجهة مضادة لأوهام المنتخبين والشيوعيين وحتى العلماء. فبالنسبة لحزب الشعب الجزائري، يقع مستقبل الجزائر قبل كل شيء على عاتق الجزائريين وعلى الجزائريين وحدهم، الذين سوف يصبحون السادة بمجرد اتحادهم: «يجب عدم الانخداع، فالحقوق لا تمنح أبدا.»

كان استقلال الأمة الجزائرية دوما مطلب جريدة الأمة. وكان المكتب السياسي لحزب الشعب الجزائري يرى بأنه وحدها أمة جزائرية مستقلة بوسعها أن تصبح حليفة لفرنسا[111]. وقد ربط مصالي بين العبارتين: أمة جزائرية واستقلال: «إن الجزائر المسلمة شعب له لغته الأم ودينه وماضيه المجيد ومفكروه وأبطاله وتقاليده الإسلامية..والاستقلال واقع طبيعي متمكن في قلب كل مسلم جزائري، لكنه حق تعترف به فرنسا بإعلان 5 جويلية 1830[112].» أن وطنية حزب الشعب الجزائري - يواصل مصالي- ليست إمبريالية ولا عنصرية، إنها الوطنية التحررية التي تحاكي وطنية ثوريي 1789، والتي تحارب الإمبريالية والعنصرية...

لقد تطرق قادة آخرون إلى محتوى الاستقلال.وهكذا لخص محفوظي زكرياء أهداف حزب الشعب الجزائري: «تهدف مبادئ الحزب إلى حمل الحكومة على الاعتراف للشعب الجزائري بخصوصيته، وعلى تمكينه من برلمان تكون فيه الأغلبية للمسلمين، ومنحه دستورا...، وعلى قبول اللغة العربية لغة رسمية في الجزائر[113]، إلخ... وقد حددت جريدة الشعب أهداف الجريدة، ومنه أهداف الحزب على النحوالتالي: «جعل الشّعب الجزائري سيّدا على أرضه وبلاده[114].» وطلبت من الشباب الاستعداد لدخول ميدان الجهاد التحرري النبيل: «صرخة الشّعب» مبدؤنا على طريق الجهاد.

«إنّ السّاعة قريبة! أيها الشعب، لقد فتحت أمامك طريق الحياة: فلك الحق في صحافة مستقلّة وصادقة. وتحيّة لك! أيّها الشعب منذ اليوم الذي كنت فيه حرّاً وقويّا إلى اليوم الذي سوف تصبح - بفضل جهادك ومجهوداتك الخاصّة- سيّداً لأرضك وعلى بلادك.»

كان حزب الشّعب الجزائري يريد طمأنة الرّأي المعتدل والأوربي، وقد رفض الاتّهامات الموجّهة إلى الوطنيين المتهمين بكراهية الأجانب، ومناهضة فرنسا، وأوصى بالتعاون بين المسلمين والفرنسيين، وأراد عند المطالبة بتحويل

المجالس الجزائرية إلى برلمان جزائري «تجريد المعمّرين وكبار الأقليّات ذات النّفوذ العقاري والمالي من الخاصيّة السيادية الحصرية، ومنعهم من مواصلة اتخاذ الجزائر معقلا لهم، والمجالس الجزائرية تحت رحمتهم»[115].

لقد أرادت جريدة الأمّة[116] إعطاء هذه الوطنيّة، المتّهمة بالتّطرّف وبمعاداة فرنسا، صورة أكثر طمأنينة وأهدافًا بنّاءة أكبر. ولم يكن الحزب يرغب إلاّ في شيء: «التّعاون، لكن بصفة واقعيّة ومطابقة للمبادئ التي تحكم نظام فرنسا الحالي.» لكن يجب من أجل ذلك منح «الحقوق للجميع، المسلمين والفرنسيين والأجانب الذين يتمتعون بالمواطنة في الجزائر، والحقّ في قول كلمتهم في إدارة شؤون البلاد، هذا هوهدف وطنيتنا، وطنية ليس لها - كما يمكن ملاحظة ذلك- أيّة علاقة بالعصبية ولا بالعنصرية، لأنّها لا تستند على أيّة أفكار مسبقة. فالأحزاب الدّيمقراطية أوالعمالية - عن قصد أوغير ذلك- لم تفهمنا، وتواصل محاربتنا بشراسة». أمّا بالنسبة للمنظمات الإسلامية «فالخوف فقط يبعدهم عنّا والجبن يجعلهم يحاربوننا، لأنّهم (قادة المنظمات) ينتمون، جميعهم تقريبا إلى تلك البورجوازية المضطربة، التي كان عباس في وقت مضى يندد بها قبل أن يلتحق بها هونفسه، والذي لم يبق قرن من الاستعمار والقهر الشديد على أدنى إحساس بالكرامة فيه» لكن أنصارهم، عندما يقرؤون برنامجنا، «فإنّهم سوف يرون بأنّه لا علاقة له بالعمل الهدّام ولا بمعاداة فرنسا، ولا شيء غير الرّغبة في إعادة بناء مجتمع الغد على أسس متينة باستعمال شيء آخر غير المواد المنخورة التي يقترحونها عليهم.»

لم تكن تصريحات قادة حزب الشعب الجزائري وقصائد الشّعراء تفسد نكهتها بالصيغ الحذرة، فلم يترك الشاعر مفدي زكريا أي مكان للبس والغموض، بدعوته الشعب إلى الكفاح والتضحية[117]. وقد أصبحت القصيدة التي كتبها في السّجن والتي تم توزيعها على شكل مناشير في القصبة بمدينة الجزائر في جويلية 1938[118] بسرعة أغنية الشباب.

كفاح حزب الشعب الجزائري

I - نشاطات حزب الشعب الجزائري:

لقد قام حزب الشعب الجزائري بنشاط كبير خلال الأشهر التي تلت إنشاء حزب الشعب الجزائري. وقد استعملت كل الوسائل، منشورات وجرائد واجتماعات ومآتم من أجل اسماع صوت الحزب. واستمر حزب الشعب الجزائري في التظاهر وتعزيز موقعه بالرغم من اعتقال كل المسؤولين الرئيسين في أكتوبر 1937.

1. الاجتماعات والمظاهرات الشعبية

لقد عقد الحزب عدة اجتماعات. وأثناء ذلك، قام مصالي ورفاقه بالتجوال في أنحاء البلاد. وقد أصدرت جريدة الأمة[1] تقريرًا تتناول فيه الاجتماعات المنعقدة بالجزائر، دلس، قسنطينة، عنابة، جيجل، وهران وتلمسان... والاجتماعات الشعبية التي أقيمت في وضح النهار، بالإضافة إلى تلك التي انعقدت في المقاهي والأسواق وبيوت المناضلين. وقد عزز الحزب موقعه في المدن والقرى. وتم إيصال صوت الحزب إلى غاية الدواوير.

سعى حزب الشعب الجزائري للتعريف بنفسه في تونس، وهكذا تم إرسال وفد يتكون من ستة أعضاء (حمدواي قنانش من وهران وزكريا لحول من الجزائر العاصمة وبلال وحرقة من قسنطينة) إلى تونس، وكان ذلك في فيفري 1937، لتنوير الرأي العام التونسي. التقى الوفد مع الزعماء الدستوريين وأعطيت حوارات للجرائد ونوقش مستقبل المغرب العربي. إلا أن الاستقبال التونسي كان محتشما نسبيا بسبب زيارة «فيينو»[2] لتونس. وبالرغم من ذلك

فقد استطاع الحزب الإشهار لحركته وأشارت جريدة الكفاح التونسية إلى استمرارية نشاطات الحزب: «إن الحركة لم تشعر إلا بقوة أكبر، وقد أحدثت عند الجزائريين إيمانا بالأهداف المتبعة من مصالي. واستمر أنصار الحزب في رفع أصواتهم بأن جزائري اليوم يختلف عن جزائري الماضي، ويرغب أن يعيش في بلاده معززا ومحترما ومكرما. لقد حلت الحكومة حزب شمال إفريقيا، وهي تعتقد بأنها قتلت الحركة. ولكن في حقيقة الأمر لم تزدد إلا قوة[3].» كانت عودة عبد العزيز الثعالبي إلى تونس فرصة للزعيم والشاعر مفدي زكريا للتأكيد على هوية الحزب المطابقة للوطنيين المغاربيين، ودعوة الشعب إلى التحضير للتحرك.[4]

أما في فرنسا، فقد حاول الحزب تنسيق عمله مع عمل باقي الشعوب المستعمرة. وبهذا قام حزب الشعب الجزائري بدعوة مختلف المنظمات المسلمة لشمال إفريقيا المتواجدة بباريس والتجمع الاستعماري لحضور الحفل التكريمي الكبير بمناسبة وفاة الأمير خالد. لقد قام الخطباء برثاء الرجل الذي «أعاد الكرامة للجزائريين، بعد قرن من الاستبداد والذي أزال من كلمة «إنديجين» المعنى الحقير الذي ألصقه المستعمرون بها.» ونشرت جريدة الأمة[5] نص الكلمة التي ألقاها «نقيان ترويان»، المندوب الفيتنامي ورئيس التجمع الكولوني. لقد استطاع حزب الشعب الجزائري في غضون أشهر بسط نفوذه في الأوساط الشعبية والتعريف ببرنامجه وبالظهور كأنشط حزب.

لم يوقف اعتقال القادة نشاطات الحزب، وأعطت اللجنة المركزية الأمر بانعقاد الاجتماعات والتنديد بالفعل الجديد المتمثل في «نهاية الاستعمار، وهواليوم متحالف مع الشيوعيين، وأكد إيمانه في النصر الأخير النهائي» وإذا وضعنا سدًا على جدول فإننا نجعل منه وادياً هداراً وسيجر السيل معه في يوم من الأيام كل شيء في طريقه. أما الآن فعلينا أن نتمسك ونتسلح بالصبر وببرودة

الدم، لأن مصالي وإخوانه هم شهداء، امتنعوا عن كل فعل غير مسؤول وفردي. أن النصر سيرجع إلى الذي سيصمد في الجولة الأخيرة[6].

لقد نظمت عدة مظاهرات ندد من خلالها حزب الشعب الجزائري بعدم تحرك الأحزاب الفرنسية اليسارية والجبهة الشعبية، والتي تسامحت ولم تحرك ساكنا لما كان يحدث في الجزائر من «التفتيشات والاعتقالات، ومن تجسس على المناضلين والتجاوزات والبؤس والأمراض[7]» وكانت الاجتماعات فرصة للتذكير بكلمة النظام وبرنامج الحزب[8].

وقعت عدة حوادث ونظمت عدة مظاهرات أمام السجن المدني بربروس إثر استجواب كل من مد مالي[9] ومفدي زكريا[10]. أما في تلمسان، فقد جاب الشباب كل شوارع المدينة كما أغلق التجار والحرفيون أبواب محالهم بعد اعتقال كل من معروف بومدين وبن رزوق مصطفى[11]. أما في الجزائر العاصمة، فقد وقعت صدامات عنيفة في حي «لامارين» بين الشرطة ومناصري الحزب، وقد رشق المتظاهرون الشرطة بالحجارة أصابت محافظ الشرطة بجرح بليغ. وقد أدت ردة فعل الشرطة العنيفة إلى حصيلة ثقيلة تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة، 15شرطيا و50متظاهرا أصيبوا بجروح، وتم اعتقال 13 مناضلا[12].

انتهز حزب الشعب الجزائري فرصة المظاهرات الشعبية للتصالح مع الحكومة (استعراضات أول ماي و14جويلية...) لتقوية مكانته والتعريف بسياسته. لم تكن هذه المشاركة لتمر دون أن تحدث ردود فعل من الإدارة الجزائرية، وحتى المنظمات المسؤولة عن التظاهرات التي كانت تشعر بالإزعاج والحرج من تطرف حزب الشعب الجزائري.

شارك 25 ألف جزائري في استعراض الجبهة الشعبية في 14جويلية 1937 حاملين شعاراتهم المعتادة «برلمان جزائري والحرية للجميع والأرض للفلاحين ومدارس عربية واحترام الدين الإسلامي[13]». وكانت المفاجأة في ذلك اليوم حسب جريدة «ليكودالجي» (صدى الجزائر) هوالاستعراض المفضل الذي قام به مناصرومصالي هاتفين: «الحرية للجميع ومدارس عربية». وكان كل من

أصدقاء الأمة ونجم شمال إفريقيا يحملون راية خضراء مكتوبا عليها بالعربية «حزب استقلال الجزائر».

حاول 1700مناضل، وعلى رأسهم زوجة مصالي التظاهر في وسط المدينة، رافعين عدة لافتات مكتوب عليها «احترام الدين الإسلامي وضد قانون الأهالي واحترام معاهدة 5جويلية 1930، ومن أجل الحريات الديمقراطية وبرلمان جزائري. وأطلقوا صراح مصالي الحاج وبورقيبة وعلال الفاسي والشيخ الهاشمي وكل المعتقلين السياسيين في سجون الاستعمار الفرنسي». إلا أن الشرطة كانت لهم بالمرصاد ومنعتهم بالقوة. وتم اعتقال ثلاثة من المناضلين كانوا يحملون لافتات، ولرفضهم السير وترك التظاهرة. وعلى إثر هذه الأحداث تبادل كل من حزب الشعب الجزائري ولجنة الجبهة الشعبية لمدينة الجزائر التهم والقذف عبر جرائدهم. وقد نددت الجبهة الشعبية «بالاستفزاز الواضح الذي مثله تجمع حزب الشعب الجزائري المناهض للجبهة الشعبية، خلف استعراض التجمع الشعبي[15].» الذي احتج - على العكس - بدافع أحاسيسه الديمقراطية، ونددّ «بسوء النية الستالينية[16]». وقد انتهزت جريدة الأمة الفرصة للتنديد بالأمن: «ليس علينا أن نسرد تاريخ الاعتداء الوحشي. وقد كان التحريض محكما إلى حد جعل الضحايا الناجين من الحاجز الأول يسقطون تحت هراوات الحاجز الثاني الذي كان مُقامًا خفية بعد الأول - وقد أدّت الجريمة إلى جرح 50، ثلاثة منهم في حالة خطرة و17طفلا و13امرأة هكذا هي طريقة الحكم يا شعب فرنسا[17].»

ولأول مرة أعطى حزب الشعب الجزائري الأمر للقيام بإضراب سياسي للتنديد بالقمع الوحشي السائد في الجزائر والمغرب، وكان ذلك في 1937.وقد دعي التجار إلى غلق محالهم في 20 نوفمبر 1937، من 11 إلى 12. وبالرغم من تدخل الشرطة لمنع غلق المحلات فإن هذا الإضراب الذي كان الأول من نوعه لقي نجاحًا باهرًا. فقد كان الإضراب في الجزائر العاصمة تامًا. وفي المسمكة كانت نسبة الإضراب 100%، أما في حي القصبة فقد بلغت نسبته 70%.

وكان شاملاً في بوفاريك، وأحرز نجاحا نسبيا في كل من دلس وتلمسان التي عرفت تدخل الدرك كما هو الحال كذلك في كل من قسنطينة وعنابة[18].

2. صحافة الحزب:

استمرت جريدة الأمة في الصدور في فرنسا، وكانت تعطي كل الأخبار الخاصة بتحرك الحزب ونشاطه في الجزائر[19]. وخاصة فروع حزب الشعب الجزائري في فرنسا. كان إرسال الجريدة إلى الجزائر يطرح مشاكل كبرى لأن الإدارة الاستعمارية كانت تصادر دائما الطرود المرسلة من باريس. وقد نظم حزب الشعب الجزائري طريقة سرّيّة للتوزيع، حيث كانت رزمة الجرائد يحملها مناضل من الحزب إلى مدينة ليون، ومن هناك تنتقل من فرد إلى آخر إلى مرسيليا، وهناك يقوم البحارة بنقلها من ميناء مرسيليا إلى الجزائر حيث يتم تسليمها إلى مناضلين بالجزائر العاصمة. وكان المناضلون الذين يعملون على الحدود السويسرية يفوضون أحدهم للمجيء لأخذ الطرود الخاصة بالتوزيع الخارجي[20]. وبالرغم من المصادرات، فإن جريدة الأمة كانت توزع على نطاق واسع في الجزائر. وتمس جمهورًا كبيرًا من القراء، بحيث كانت النسخة الواحدة يتداولها عدة قراء لقراءتها. وفي جوان 1938، وبينما كان قادة حزب الشعب الجزائري في السجن، أشارت تقارير الشرطة إلى أن ثلاثمائة نسخة قد بيعت في تلمسان[21]، على سبيل المثال، وخمسين أخرى صودرت عند الشادلي منصور في مدينة غليزان وثماني وأربعين وزعها عبد الوهاب أمحمد في مستغانم[22].

قام الحزب، في أوت 1937 بإصدار جريدة نصف شهرية باللغة العربية، وهي جريدة الشعب[23]، من أجل الوصول إلى الجماهير الشعبية الجزائرية بصفة أكثر. وكان شعار جريدة «الشعب» كلمة الزعيم المصري سعد زغلول: «إن إرادة الشعب تنبثق من إرادة الله وإرادة الله لا تقهر» وبذلك اتضحت معالم سياسة الحزب: «توحيد الأهالي في شكل شعب تحت مفهوم التضامن العرقي

والديني والتاريخي واللغوي وتحت سطوة الدم العربي والعقيدة الإسلامية.» وكان الحزب يحرض المسلمين على الكفاح لاسترجاع الجزائر سيادتها، وهاجم بشدة الشيوعيين والصهاينة والمؤتمر الإسلامي والأهالي الذين يتبنون أفكار الجبهة الشعبية، ورفض التجنس. وطالب حزب الشعب بالتوزيع العادل للثروات الطبيعية بين الأهالي والفرنسيين على حد سواء.

لقد تم منع الأمة الميزابية في ماي 1938، وحاول مديرها أبويقظان إعادة إصدارها تحت اسم «الفرقان» وقد وعده مصالي الذي كان آنذاك معتقلا بسجن الحراش بالدعم المالي من قبل حزب الشعب الجزائري(24).

وأصدر حزب الشعب الجزائري جريدة جديدة ناطقة باللغة الفرنسية باسم «البرلمان الجزائري» في ماي 1939 وقد تم سحب خمسة آلاف نسخة من العدد الأول تحمل تاريخ 10 ماي. وتم بيعها في الجزائر العاصمة في ماي 1939(25)، وحملت عنوان «لسان الدفاع وتحرير الشعب الجزائري». واجتنب بذلك الإيحاء إلى علاقات مع الخط السياسي لحزب الشعب الجزائري إلا أن روابطها مع هذا الأخير كانت واضحة في كل سطور النص وخاصة العريضة التي كانت تأخذ كل الصفحة الأولى من الجريدة: «التحية لشهداء القضية الجزائرية: مصالي الحاج ومفدي زكريا...»

لقد كان برنامج الجريدة ذا دلالة: «سوف تعلم الشعب الجزائري بصراحة وبصدق وتربيه وتكونه وتقوده نحوالتحرر...» وكان يدعو الشباب والديمقراطيين الصادقين للقيام بعمل من أجل إنشاء برلمان جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام، وهوالحل الوحيد للمشكلة الجزائرية.

وكان يسير الجريدة معتقلوحزب الشعب الجزائري في السجن المدني للحراش.

بالإضافة إلى النشرات التي كانت تنشرها الفروع، فإن الحزب نشر كذلك عدة كتيبات لقي البعض منها نجاحًا كبيرًا(26).

3. دعاية الحزب:

لقد كانت دعاية حزب الشعب الجزائري متنوعة. فبالإضافة إلى الجرائد والكتيبات والمنشورات والإعلانات الملصقة المنشورة على مستوى الزنزانات، شجع الحزب مختلف وسائل الدعاية التي لم تستطع الشرطة فعل شيء ضدها، كبيع بطاقات بريدية تحمل صورة للزعيم مصالي الحاج أولضحايا القمع وربطات عنق خضراء مع خاتم سليمان والهلال الأخضر الموزع على أعضاء المنظمات الشبانية[27] وبيعت خواتم مصنوعة بالألمنيوم في بعض المحلات تحمل كتابة «الأمة»[28] وتم تبني الأحمر والأخضر لونين للنوادي الرياضية وأفواج الكشافة وإنشاد النشيد المصري[29] من قبل المجموعات الموسيقية...

وتم مساندة الدعاية الوطنية بالأسطوانة الموسيقية[30]. وقد غنى محمد عبد الوهاب حديث «حب الوطن من الإيمان»، والذي يحث الناس فيها على أخذ الحيطة من الأجنبي المستعمر (افتح عينك)، ويذكر الغرب بأن للجزائر تاريخ وحضارة وتجربة (عشنا ورأينا). وتتطرق الأسطوانة إلى التضامن العربي وتألمه لمصير الفلسطينيين (البيت لنا والأرض لنا) ثم يستهزئ ويقول «آه! يا فرنسا لقد اعتقدت أن الحال سيدوم دائمًا إنه خطأ لأن حب الوطن سنحييه شئت أم أبيت.»

لقد أدى القمع المسلط على حزب الشعب الجزائري إلى عدم عقد التجمعات. ولكن بالمقابل كثف من الاجتماعات المصغرة في المقاهي والمحلات التجارية والمدارس مثل الحياة في كليشي و«الثقافة العربية» في «اسنيار» قد أصبحت مراكز للتكوين تابعة لحزب الشعب الجزائري[31].

أما في الجزائر، فقد أشارت تقارير إلى اجتماعات الحزب التي تجمع بين أربعين إلى خمسين مناضلاً في العنابر والمدارس ومقرات الجمعيات الرياضية والمقاهي، وخاصة في البيوت بمناسبة الاحتفال بالأعياد الدينية المحلية. وكانت تباع بطاقات الاشتراك ويغنى بها نشيد الحزب. وكانت الحفلات العائلية والزواج والختان تستعمل وسيلة للدعاية. وكان المناضلون يواظبون على حضورها

ويحولونها إلى اجتماعات سياسية تنتقد فيها السياسة الاستعمارية وينشد فيها نشيد الحزب. وكانت هذه الطريقة بارعة بحيث كان من الصعب على الشرطة مراقبة كل الحفلات خاصة في فصل الصيف حيث تكون بكثرة. وكانت خزينة الحزب مزودة بقوائم الاكتتاب التي تودع في كل مكان وأرباح التمثيليات المسرحية[32]. وأصبحت المآتم فرصة للدعاية. فقد أقام حزب الشعب الجزائري مراسم دفن عظيمة لكحال أرزقي،[33] ودعيت الجماهير إلى المسيرات. وقد حضر 15 ألف شخص، بينهم عدد كبير من النساء رافقن الرفاة إلى مقبرة سيدي أمحمد. وفي الطريق قام المناضلون والمتعاطفون بأداء نشيد الحزب في هدوء ونظام، وألقت النساء الياسمين وأطلقن الزغاريد. كان قلب الجزائر ينبض لحزب الشعب الجزائري.

لم تستطع الشرطة فعل شيء ضد هذه الدعاية. وخلال المرافعة في قضية مصالي قام المحامي «برتون» بالسخرية من موقف الإدارة الفرنسية التي منعت التجوال وبيع الأناشيد والأشعار، والتي لا يمكن منع تأديتها في أي حال، ولا يمكن منعها وربما سيطلب منا أخذ الإذن للرقص في حفلة[35]».

ولم يتردد حزب الشعب الجزائري في التعريف ببرنامجه للسلطات. وقامت عدة فروع في أفريل 1937 بالاتصال بوفد الجبهة الشعبية التي أتت إلى الجزائر[36] للتعرف على الحالة السياسية. وفي رسالة مفتوحة إلى «دالاديي» ذكرت اللجنة المركزية للحزب بالوعود الرسمية التي قدمت أثناء الحرب وغداتها من «كلمنصو» و«بريان» و«ليغ» وأكدت على: «أن الشعب الجزائري المسلم ينتمي إلى حضارة عريقة. وهوفخور بها، ولا يمكنه البقاء في حالة معنوية ومادية مزرية. ويرغب بكل صدق في التعاون مع الشعب الفرنسي [...]ويطالب بإلغاء القوانين والأحكام الاستثنائية[...] وعفوشامل...»

4. مشاركة حزب الشعب الجزائري في الانتخابات

شارك حزب الشعب الجزائري في بعض الانتخابات خلال هذه الفترة. أما الأوربيين كما هوحال الكثير من المسلمين فكانوا متخوفين من هذه الجرأة: جرأة التقدم إلى المجلس الفرنسي ببرنامج وطني جديد، وقد كانت النتائج النفسية أكثر أهمية من نتائج الانتخابات في حد ذاتها.

لأول مرة قدم حزب الشعب الجزائري، في أفريل 1937 مرشحه عبد القادر بن حرقة للانتخابات البلدية الإضافية لقالمة. ولم يكن باستطاعة الحزب الدعاية لممثله وجاءت النتائج مخيبة للآمال(37).

وفي جوان 1937، تقدم حزب الشعب الجزائري للانتخابات البلدية للجزائر العاصمة. وقد خسر أمام تحالف المؤتمر الإسلامي والحزب الشيوعي، ولكن في الوقت نفسه برهن على إنه باستطاعته أن يتحدى خصومه. وكانت الحملة الانتخابية مضطربة نوعًا ما، وأظهر مناضلوحزب الشعب الجزائري بسالة. وتأسف «فيوليت» على الصحافة التي لم تشدد بما فيه الكفاية على فعل مهم يتمثل في العدد الكبير من الأصوات التي تحصلت عليها قائمة حزب الشعب الجزائري وصموده في الدور الثاني أمام الشيوعيين. وقد عاش في ظل هذا النجاح النسبي لحزب الشعب الجزائري حركة عميقة.

وقرر حزب الشعب الجزائري تقديم عدة مترشحين لخوض الانتخابات المحلية وكان من بينهم مصالي الذي ترشح في الجزائر العاصمة ولحول حسين في المدية وزكريا مفدي في قسنطينة ومعروف بومدين في وهران ومسطول محمد بالبليدة ومسعودي رابح بتيزي وزووخليفة بن عمار بسكيكدة. وقد كان معظم المترشحين آنذاك معتقلين.

اقترح حزب الشعب الجزائري على التيارات الأخرى انتهاز الفرصة للاتحاد ضد القمع الفرنسي: «إن أرضية اتحادنا موجودة، وهي أرضية مطالبنا، ويستطيع كل واحد منا الحفاظ على إيديولوجيته مع توحيد جهودنا في عمل

مشترك من أجل إنقاذ شعبنا من البؤس الذي يتخبط فيه. فهذه أرض بوسع كل المسلمين أن يتفقوا عليها.»

«فالانتخاب لصالح حزب الشعب الجزائري معناه إدانة السياسة المطبقة إلى غاية الآن، ومعناه تذكير فرنسا بالتعهدات التي أخذتها، وكذلك توجيه الشعب الجزائري نحومستقبل مشرق للتحرر الاجتماعي والإنساني[40].» وكان الهدف «اقتلاع المناضلين من السجن». وكانت أيضا الفرصة بالنسبة لحزب الشعب الجزائري للتأكيد على برنامجه: «يجب على الأمة الاستعمارية قيادة الجزائر نحوتحرر معنوي ومادي... فهدف حزب الشعب الجزائري هوالارتقاء بالجزائر إلى مصاف الأمم الأخرى التي تتمتع بجميع حقوقها.»

لقد ظل حزب الشعب الجزائري مع رغبته في مهادنة العلماء والمنتخبين المستقلين، مصممًا على محاربة الإدماج؛ وهكذا وجه التعليمات التالية إلى فروعه:

«.محاكمة الإدارة على الاعتقال التعسفي لزعمائنا؛

- إفهام الناخبين بأن أصواتهم وحدها يمكنها تحريرهم

- محاربة الاندماج، ومن جهة أخرى عدم محاربة العلماء، وهذا سيوفر لنا تكتيكات تلائم كل منطقة، أخذ مكان التواجد بعين الاعتبار؛

- يجب على الخصوص تطوير دفتر مطالبنا، وتجاهل حماقات الآخرين التي ماهي إلا مخادعات[41].»

لم يتخل حزب الشعب الجزائري عن برنامجه. فهولم ينس المطالب الفورية ولا الإصلاح السياسي العميق المنشود، ألا وهوتحويل المندوبيات المالية إلى مجلس جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام[42].

قام حزب الشعب الجزائري بترشيح زعيمه في مدينة الجزائر. وهذا كرس جهوده للحملة الانتخابية في العاصمة[43]. وقد صوت غالبية الناخبين على حزب الشعب الجزائري وانتخبوا مصالي[44]. لكن الإدارة، ورغم إقرار مجلس

المحافظة بحصول مصالي على 4060 صوتًا، أعلنت فوز المرشح الإمعة (بني وي وي) زروق محي الدين مكانه. فلم تكن الإدارة لتقبل بمحاورين وطنيين في مواجهتها.

وفي نوفمبر 1938، وبمناسبة الانتخابات المحلية الجزئية لمدينة الجزائر، دعم حزب الشعب الجزائري مرشحي قائمة الاتحاد الاقتصادي، وهما أحمد بومنجل ومحمد عباس، وضمن لهما النجاح رغم حملات «آلجي ريبوبليكان» و«لاليت سوسيال» لصالح حدووبوقرط[45]. فقد أصبحت هيئة الناخبين متأثرة بالدعاية الوطنية.

وكانت الانتخابات المحلية لأفريل 1939 آخر معركة انتخابية تجرى قبيل الحرب العالمية الثانية. وقد واجه حزب الشعب الجزائري كل التيارات الأخرى، مثل اتحادية المنتخبين وشبيبته المؤتمر والشيوعيين والمستقلين والإداريين. فرشح أمام جميع مرشحيهم رجلاً بسيطًا، نابعًا من الشعب، وهوعامل بسيط غير معروف كان يشتغل سائق طرام، واسمه دوار محمد[46]. وقد ساند كل فطاحلة السياسة الجزائرية من أمثال عباس وبن جلول وبوقردانة والعمودي، خصوم حزب الشعب الجزائري. ولم تكن الحملة الانتخابية تجرى بين الرجال بل بين البرامج والأفكار: الاستقلال أم الإلحاق، أمة جزائرية أم الاندماج.

وقد فاز دوار[47] في الدور الثاني، بحصوله على أغلبية الأصوات. وقد كانت الحملة الانتخابية جد وعرة، وكانت المواجهة عنيفة بين قادة حزب الشعب الجزائري وقادة شبيبة المؤتمر الإسلامي الجزائري[48]. ورغم ذلك، فقد اعترفت معظم الجرائد بأن الجماهير قد منحت أصواتها لحزب الشعب الجزائري[49]. لقد كان حزب الشعب الجزائري السيد بين السكان المسلمين لمدينة الجزائر، وكان واعيًا بذلك[50].

لقد اعترف ملاحظون مطلعون، بسطوة حزب الشعب الجزائري، لأنه إذا كان يمكن في 1938 تقديم شهرة مصالي لتفسير فوز حزب الشعب الجزائري، فقد أظهر شعب الجزائر، بانتخابه سنة 1939 مناضل مجهولا،

يسمى دوار محمد، بصفة مدوية بأن ثقته كانت موجهة للحزب. وقد اعترفت جريدة شيوعيي اليسار: «أن حزب الشعب الجزائري يتغلغل أكثر فأكثر في الجزائر، ولن تستطيع أي قوة في العالم زحزحته منها»[51]. لكن الإدارة لم تكن لتقبل بجلوس وطني في المجلس العام. فتم الطعن في انتخاب دوار من قبل مجلس المحافظة الذي أعلن فوز الإمعة (بني وي وي) زروق محي الدين مكانه. وتأكد حزب الشعب بأنه كان من المستحيل اسماع صوت الوطنيين بطريقة قانونية[52]. وقد كان بعض المناضلين يفكرون - في تلك الفترة- في طرق ووسائل أخرى.

لكن حزب الشعب الجزائري لم يتوقف عن نشاطه: تنظيم الشعب وإطلاعه على سياسة الحزب. وتظهر دراسته تقارير شاملة للحكومة العامة حول نشاطات حزب الشعب الجزائري، تنوع الوسائل المستعملة من قبل الوطنيين من أجل التعريف بأهدافهم رغم القمع[53].

وقد تواصل ذلك النشاط حتى عشية الحرب. وهكذا تم في فيفري 1939 إلصاق مناشير في مدينة الجزائر جاء فيها: «من أجل صد مطامع الدول الشمولية، أن تطبيق الحريات الديمقراطية يفرض نفسه[...]»، وجاء في قصاصات أخرى: «إن الشعب الجزائري يموت جوعًا، وهويعيش أبشع حالات الجور؛ إنه يطالب بإلغاء كل القوانين الاستثنائية»؛ ومناشير أخرى تستنفر الشعب الجزائري المسلم: «إن الممثلين الحقيقيين لمعاناتك وتطلعاتك يقبعون في السجون: فاطلب إطلاق سراحهم». وتم في مدينة الجزائر طبع وتوزيع 3000 نسخة من بطاقة جريدة تحمل صورة مصالي وعبارة لشكيب أرسلان تلزم جميع الجزائريين بالتدبر واتباع نهجه[54].

لقد تجاوزت شعبية حزب الشعب الجزائري الحدود الجزائرية. ففي سنة 1937، كان بورقيبة[55] يؤمن بفعالية قادة الحزب الوطني الجزائري: «إذا لم يتخل الشعب الجزائري، المتأثر بعلية مصالي عن زعيمه، وإذا عرف كيف يقاوم

القمع ويطيل عمر المقاومة، وإذا لم "يتخادل" في اللحظة الحرجة، فإن فرنسا - المعنية بوفاء الجزائريين- سوف تسمع صوت الحق لزمرة الاستعماريين المتعجرفين وسوف تقلب سياستها.» وقدمت جريدة الرابطة العربية[56] زعيمي الوطنية الجزائرية، مصالي ومفدي زكرياء بعبارات المدح والثناء. فقد كان مصالي يعتبر واحدًا من أكبر أنصار القومية العربية وواحدًا من الرواد الأوائل لاتحاد شمال إفريقيا، «وهوالذي يدعوإلى القومية الإسلامية الحقيقية، ويحارب سياسة الفرنسة والاندماج، حيث يحارب على الجبهتين: الحكومة والفاشيين». وكانت صورته متبوعة بعبارة شكيب أرسلان: «إنه أحسن مثال للشبيبة ولنخبته. فلوكان كل الشباب من طينته، لتحرر الإسلام منذ زمن طويل. ليست هذه عبارة ذات طابع خطابي، بل أنا أعبر عما أؤمن به بقوة وما يلهمني به الله. لقد توصلت خلال معاشرة متواصلة مدة ستة أشهر، إلى الاقتناع بالطابع الحقيقي لمصالي الحاج، وبتربيته الجيدة، وبروحه السامية وحكمه القوي، ولم أجد فيه عيبًا. وأتمنى بحرارة أن يحفظه الله ويكثر من أمثاله وأقرانه.» وأطلعت جريدة مصر الفتاة المصريين على تضحية القادة الوطنيين: « لقد تم توقيف كل قادة حزب الشعب الجزائري، حيث تم سجنهم وإدانتهم بقسوة. وإنهم يعاملون كالمجرمين والقتلة.»

كان حزب الشعب الفرنسي يفرض نفسه على الرأي الشعبي وعلى التيارات الجزائرية الأخرى. فقد كان من المستحيل تجاهل شعبيته، «من المستحيل تجاهل وجوده وحيويته. يكفي التجوال في قصبة الجزائر. ففي كل زاوية شارع - والله أعلم- نجد العبارة السائدة نفسها كيوم انتخاب: عاش مصالي الحاج[58]!» وقد اتهم المنتخبون والحزب الشيوعي الإدارة بخدمة حزب الشعب الجزائري، بسبب رعونتها، إلا أنهم كانوا يواجهون حزبًا يعبر عن تطلعات الجماهير المتضمنة في كلمتي «الوطن والاستقلال» ومعبر عنها بكلمتي «السيادة والبرلمان الجزائري». ولقد اتفق اليمين مثل اليسار، والمعتدلون

مثل الشيوعيين على «منع جماهير الأهالي من الانحدار الخطير للوطنية[59]»؛ وكان كل واحد يقترح طريقته: إصلاحات، مشروع فيوليت، الشغل، وباختصار كل ما يمكنه القضاء على أسباب الاستبداد.

كان حزب الشعب الجزائري يجد صعوبة في التعامل مع كل أولئك الذين كانت تقلقهم أوتحرجهم سياسة الاستقلال والسيادة الجزائرية والأمة الجزائرية.

II – القمع:

لم تجد الإدارة - أمام صعود الوطنية الشعبية- وسيلة لمواجهة الوضع سوى اعتقال القادة والمناضلين والمتابعات القضائية والمحاكمات.لكن القمع لم يضعف حزب الشعب الجزائري بل جعل من قادته ضحايا وأقنع الشعب بعدالة القضية التي يدافع عنها الحزب الوطني.

1. الاعتقالات

تم في 27 أكتوبر 1937 اعتقال مصالي الحاج مع أبرز قادة الحزب. وقد كانت الدوافع غير جدية: غرافة إبراهيم (تاجر) كان أمين خزينة أحباب جريدة الأمة، وكان يجمع الأموال؛ خليفة بن عمر (أستاذ عربية حر) أمين سر جمعية أحباب الأمة، كان قد حرر منشور احتجاج على حل النجم؛ حسين لحول، كان عمره 20 سنة، وكان محرر جريدة الأمة والأمين العام للفرع المركزي لحزب الشعب الجزائري، وكان قد دخل في العديد من التجمعات الشعبية. لقد حرم الحزب من قادة، لكن لم يقض على رئاسته.

لقد حكمت محكمة الجنح للجزائر، في 4 نوفمبر 1937 على مصالي ومفدي زكرياء وخليفة بن عمر ولحول بعامين سجنًا، وغرافة بعام حبسا. أما موساوي وبن لمين اللذان كانا في حالة فرار، فقد حكمت عليهما على التوالي بعامين وعام حبسا. وقد حرم جميعهم من حقوقهم المدنية وحقوق المواطنة والحقوق السياسية. وتم في تلك الأثناء إطلاق سراح مسطول. وفي 14 جانفي